

مع الشبهات وجهاً لوجه

إجابات وردود عن أهم الإشكاليات الفكرية المعاصرة

(حد الردة، لماذا الزلازل والبراكين، الجزية، الرق، علة تحرير
الغناء، خلق الباطل، وغيرها الكثير...)

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن
اتجاهات أو أفكار يتبناها مركز عين للدراسات والبحوث
المعاصرة وإن كانت تقع في دائرة اهتماماته وأوليياته





من أهداف مركز عين:

مركز "عين" للدراسات الفكرية المعاصرة، يعنى بتفاعلات الواقع الإسلامي، ويحاول أن يؤصل للحلول والمقترحات تجاه مشكلات الإنسان المعاصر..

كما وينطلق من رؤية راسخة بقابلية الحضارة الإسلامية على قيادة الحياة وتقديم نموذج يتناسب مع احتياجات العصر من غير أن ينقطع عن أصوله ومنطلقاته وثوابته..

يسعى المركز ضمن برامج بحثية وهموم ثقافية ودورات لكتابة البحوث وتصديرها، لتعزيز الوعي الاجتماعي بقضايا الثقافة والأفكار ومناقشة مطاريح التخلف والتسيد لقيم غير أصيلة في المجتمع..

ليس من أهداف المركز أو مطاريحه الاعتناء بالتبشير الطائفي، ويؤمن أن ما يحدث اليوم هو طائفية سياسية تسعى لتجسير كل الدين والإنسان في أتون معركة مصالح دنيئة.. ولا تمنع من دراسات تنطلق من التسامح في التعايش والإيمان بمشتركات الإنسان دون إلغاء الآخر مع الاحتفاظ بالرصانة العلمية وشروطها..

كما يؤمن المركز أن الحلول الإسلامية تنطلق من جذورها المناسبة، ولهذا فهي تحاول التأسيس من منطلقات إسلامية خالصة، بعيداً عن كل التحيزات المحيطة..



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله تعالى على خير الخلق
أجمعين محمد وآله الطاهرين..

ونحن أمام سيل يُتَرى من الشبهات التي تضرب بعقول
شبابنا وتحاول أن تثير في عقولهم وقلوبهم مجموعة من
المغالطات والتشكيكات والزيف، لا بدّ لنا حينئذ من أن نقف
موقف الرصد والمعالجة، فنرصد المثار منها أولاً ونعالجها ثانياً،
بل ننتقل الى مرحلة الهجوم ورد الكيد ثالثاً.

ومن هنا لا بدّ لنا أن نواجه هذه الشبهات عبر رصدها
ومن ثم الإجابة عنها واستخراج المفاهيم العامة التي تتحصل في
طريق البحث لتكون كبرى سيّالة، وقاعدة قابلة لأن تجيب على
إشكالات متعددة.

5 كما نشير الى أن هذا الكتاب هو بالأصل مجموعة من
الأسئلة التي كنّا نستقبلها بين الحين والآخر، حاولنا جمعها
ونظمها بهذا الشكل مع أجوبتها وإضافة ما يمكن أن يتصل
بالهدف من الكتاب.

تتمثل منهجية الردود في صياغتها كخلاصة معرفية

مرکزة خالية من الزوائد، فهي مع خلاصتها إلا أننا نحرص على تلبيتها للإشكال كله والإجابة عنه والتنظير له وتنظيم الشواهد التي تدلل عليه ونقض ما يمكن أن يتوجه من اعتراضات.

وقد جربنا في بعض محاضراتنا التي كنّا نلقيها على الشباب بركة ما يمكن أن يُثار كسؤال مباشر ونحاول الإجابة عنه؛ لأنه من الممكن أن يستمع أحدهم الى الكثير من المحاضرات من غير أن تليي هواجسه التي تنتابه أو أفكاره التي تتلاعب به أو الشك الذي يضره، لأن المحاضرة تتكلم عن شيء وهو يعيش شيئاً آخر، ومن هنا فإن السؤال المباشر والإجابة عنه سيكون له أبلغ الأثر في استيعاب الإشكالات وإثارتها من غير أن نمشي أ미الاً ولا نصيب الهدف.

ونشير أيضاً، الى أن المبدأ من هذه الإجابات ليس هو التوسّع أو التفلسف أو التنظير، بل غايتها الإجابة والبيان، وربما تعرضنا لشيء من التحليل ولتنظير فيها. وفي ضوء ذلك استطرنا للإجابة بإلقاء الضوء على الفكرة وعلى الإجابة بالشكل الذي يشفي الغليل بإذن الله تعالى، أي أن المنهج المتبع هو التوضيح بما يدفع الفكرة من غير أن نعرّض الأمر الى التحويل الممل أو

الإيجاز المخل.

ثم إننا انتهجنا في هذا الكتاب منهج الإجابة الفكرية عن الإشكالات والملابسات، من غير أن تشكل هذه الإجابات موقفاً فقهياً في بعض المسائل التي يبقى الرأي فيها للموقف الفقهي والتشريعي.

اللَّهُمَّ أَنْتَ ثَقَيْتَ فِي كُلِّ كَرْبٍ؛ وَأَنْتَ رَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ؛ وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ.

كَمْ مِنْ هَمٍّ يَضْعُفُ فِيهِ الْفُؤَادُ، وَتَقِلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ، وَيَخْذُلُ فِيهِ الصَّدِيقُ، وَيَسْمَتُ فِيهِ الْعَدُوُّ؛ أَنْزَلْتَهُ بِكَ، وَشَكَوْتُهُ إِلَيْكَ، رَغْبَةً مِنِّي إِلَيْكَ عَمَّنْ سِوَاكَ؛ فَفَرَجْتَهُ عَنِّي، وَكَشَفْتَهُ، وَكَفَيْتَهُ.

فَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَصَاحِبُ كُلِّ حَسَنَةٍ، وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ.



تمهيد:



■ ملاحظات مهمة حول ذوي الشبهات أو من

يطرحونها:

الشبهات وجهات الوجه

يطل علينا بين الحين والآخر بعض ممن فتك بهذه الأمة،
يطل علينا بأقوال توغز بمواجهة الإلحاد وذوي الشبهات ويدعو
الى ضربهم! وهو بالضرب أولى منهم! فهو الذي يتكلم بالدين
ويعمل بغيره فوثبت الناس تستنكر على الدين بسببه!..

وكأننا لا خيار لدينا إما أن نختار عثمان بن عفان أو
قتلته، وحينها جمع أمره علي عليه السلام فقال: «أَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ،
إِسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْآثَرَةَ، وَجَزَعْتُمْ فَأَسَأْتُمْ الْجَزَعَ وَلِلَّهِ حُكْمٌ.. فِي
الْمُسْتَأْثَرِ وَالْجَازِعِ»^(١).

ومن ثم فإن الإلحاد والكفر لا يكون إعلانه بحق أحد أو
بحق فئة إلا بإذن الفقيه الجامع للشرائط أو من يوكله..

ذلك لأن الكفر بالدين قد يكون عن تقصير أو قصور،
فالذي يجهل الدين كالذي نشأ في الغرب ولا يعرف ما ينكر
كان قاصراً.. بخلاف المقصر الذي يجهل وينكر بسبب منه ولا

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ٣٠.

يعذر على جهله لا لأن بيئته أو وضعه حال دون علمه.. وبالنتيجة لا يحكم بكفر القاصر وإنما بكفر المقصر..

وقد يكون الإلحاد أو الكفر عن شبهة فلا يحكم بكفره.. وقد يلزم من إنكاره لتشريع ما إنكاره للرسالة، كمن ينكر آية من القرآن الكريم فيلزم منه إنكاره للرسالة والنبوة، فيحكم بكفره.. بخلاف ما لو كان إنكاره لتشريع ما لا يعلم بأنه يؤدي إلى إنكار الرسالة فلا يحكم بكفره حينئذ..

وقد يكون كفرانه بمعنى أنه يقول لا أو من بما جاء به الدين في حرمة الخمر، أي الاستحلال للخمر والاعتقاد القلبي بما يخالف الدين عمداً.. فيحكم بكفره.. بخلاف الاستحلال العملي أي أن يرتكب حرمة شرب الخمر فقط بلا أن يعتقد قلباً بخلاف الدين فلا يحكم بكفره بل هو مرتكب للكبيرة..

وقد يكون كفره عن جحود ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل : ١٤] فهو يكفر عن علم لا عن جهل، فيحكم بكفره.. بخلاف من كان إنكاره لا عن علم، فلا يعد من الجحد..

وقد يكون الإنكار تقليداً ومتابعة لأحدهم، فهو يقلده في الإنكار من غير أن يفهم ما ينكر أو لماذا ينكر، ومثله لا يكفر، ولو كان إنكاره عن متابعة ومعرفة فيكفر معها..

وقد يكون إنكاره عن قصور ولكنه يعتمد تضييع مقدمات تحصيل الموضوع، كمن يعتمد أن لا يتعلم لكي يبقى جاهلاً بالدين ومن ثم ينكره، فلا يكون قصوراً معذوراً بل هو تقصير يؤدي للكفر..

المصالح مطية الشبهات:

شاهد أمير المؤمنين عليه السلام يوماً أن عمار بن ياسر يجادل المغيرة بن شعبة في كلام، فقال عليه السلام: «دَعُهُ يَا عَمَّارُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَعَلَى عَمْدٍ لَيْسَ عَلَى نَفْسِهِ [أَي أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِي الشَّبْهَةِ عَامِداً] لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَاذِرًا لِسَقَطَاتِهِ»^(١)..

فيأخذ من الدين ما يجعله مطية لمصالحه وغروره.. إنه يجعل الالتباسات الدينية والضجيج وخلط الحق بالباطل عذراً

(١) نهج البلاغة: الحكمة: ٤٠٥.

لاقتحامه أسوأ ما يمكن أن يرتكب!..

وفعلاً فإن المغيرة كان من دهاة معاوية وهو الذي برر له أن يجعل ابنه يزيد بعده!..

إن من يريد أن يهلك برأيه فليهلك وهو حر في اختياره ولكن ليهلك عن بينة، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال : ٤٢]!.. لذلك حذر القرآن الكريم كثيراً ممن يخطط الأمور ويفتن الناس ﴿وَلْيَلْسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام : ١٣٧] ، ﴿وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٤٢]!..

إن مرحلة الفتنة والالتباسات المفهومية والواقعية لهي من من أشد ما يمكن أن ينتاب المجتمع. وللأسف فإننا اليوم نعيش في ظلالها ونكتوي بنارها، وحتى في مواقع التواصل تجد الكثير ممن يلقي حبال الاحتيال والتشكيك..

وعليه: ينبغي الحذر ممن يمتن التبرير لاقتحام الشبهات وإثارة الاشكالات..

يقول البعض: (المُتَقَفُونَ هم أقدر الناس على الخيانة لأنهم أقدر الناس على تبريرها)!..

فكل أحد يقدر على التبرير قد تشمله هذه المقولة!..
ولمن يسأل عن الحل، فهو في اثنين:
-- نفسك فامنعها ولا تبع دينك بدنيا غيرك! «كُنْ في
الفتنة كابن اللبون؛ لا ظهرٌ فيركب، ولا ضرعٌ فيحلب»^(١)..
-- عليكم بالعلماء والمراجع، فمن «وثق بماء لم
يظمأ»^(٢)!..

فوضى وسائل التواصل الاجتماعي:

قد نجد البعض (بأسماء مستعارة) وهو يدعو الى التردّل
في مواقع التواصل الاجتماعي بشكل وقح لا نظير له، إنه يدعو
المجتمع الى الدياثة! واعتبار العرض سلعة عامة!..
كما يوجد الآن الكثير من الشباب كديب النمل وهم
يتملكون الصفحات الوهمية في سبيل إهانة الآخرين والتطفل
على شرف الناس ومن ثمّ تمرغ عفتهم بالوحل!..
وفي كل هذا الضحية هم الناس البسطاء!..

(١) نهج البلاغة: الحكمة: ١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ٤.

وقد تستغلهم الجيوش الالكترونية للسياسيين للانتصار بهم على خصومهم!..

هذا غير ما سيكون للإعلان الممول على الفيس وك من الدور في إثارة النعيق والشبهات لاستمالة وتغيير البسطاء وفي الترويج والاستحمار!..

إن البلهاء والأغبياء والحمقى، وأتباع النعيق وسماعي الكذب في كل مجتمع فيما لو وجدوا من يستغلهم ويكرسهم في مشاريعه لكانوا بحق أداة خرافية تنفذ أتعس المآرب بكل أريحية وتفانٍ..

وورد عن أمير المؤمنين (ع) في وصفه للغوغاء أي عامة الناس من المتسرعين وغير الثابتين في الأمور، حيث قال: «هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا، فَقِيلَ: قَدْ عَرَفْنَا مَضَرَّةَ اجْتِمَاعِهِمْ، فَمَا مَنَفَعَةُ افْتِرَاقِهِمْ؟ فَقَالَ: يَرْجِعُ أَصْحَابُ الْمَهَنِ إِلَى مِهْنَتِهِمْ، فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ كَرُجُوعِ الْبَنَاءِ إِلَى بَنَائِهِ، وَالنَّسَاجِ إِلَى مَنَسَجِهِ وَالْحَبَّازِ إِلَى مَحْبَزِهِ»^(١).

نحو إضافة معرفية:

ويراودنا، ونحن نكتب هذه السطور، ذلك السؤال الحاد النبرة، سؤال ينطلق من جوف المعاصرة، ومن جوف الحاضر الذي يعاني من الثقل والارهاق في المشاعر والضمير وغياب النزعات الروحية، سؤال ينطلق من تراكم المعلومات التي لا تنتهي، ومن الاكتشافات الهائلة التي نزعّت جلباب القداسة عن معتنيها، وهذا السؤال هو: هل يمكن أن نقدّم إضافة معرفية جديدة؟.

فاليوم نحن لسنا في عصر الحاجة إلى المعلومة، حيث من الممكن الحصول عليها عبر طرق شتى بفضل وسائل الاتصال والنقل المعلوماتي الحديث، حيث ناهز عدد الفضائيات على ما يزيد عن ١٠ آلاف فضائية، وامتدت شبكات الإنترنت إلى مليار مشترك ومستخدم، وبلغت أجهزة الخليوي ما يقارب مليار هاتف محمول^(١).

وعليه، فالمعلومة اليوم ليست مستحيلة أو حتى صعبة،

(١) الحرب الناعمة، الأسس النظرية والتطبيقية، شبكة المعارف الإسلامية:

ولهذا قلنا بأننا لسنا في زمن المعلومة! ولكن من جهة أخرى فإننا نعيش عصر التشابك في المعلومات والالتباسات المفهومية والتراكم غير المنظم يغرقنا في اللبس الذي لا مفرّ منه.

بقيت مسألة فيما يتصل بهذا الأمر، وهي مسألة التراكم المعلوماتي والذي باستطاعته أن يكون مشوشاً لنا ولكنه في الوقت نفسه من الممكن أن يأتي بأفكار جديدة وممتازة، فإن من يقف على قمة التل ليس كمن يقف على قمة الجبل، فالتراكم المعلوماتي في الوقت الحاضر يؤهلنا لاستنتاجات مذهلة وأكثر جزمية و يقينية مما سبق، فالتأكد من المعلومة، وإقامة الأدلة عليها، وتشكيل نظيراتها، ومن ثمّ حسم النتيجة، صار أكثر مما سبق، ويعطينا جزمية لتائجنا أكثر من السابق، على عكس الذين يتصورون أن الأمور ستؤهلنا إلى عصر الشك.

إن مقولة عصر الشك كان الكثير يطلقها على فكرة إعادة استنتاجاتنا العلمية والفكرية القديمة والتي كانت مبنية على الظنون وأدوات التجربة البدائية، وفعلاً كان ذلك حيث ساعدتنا الأدوات المعرفية والعلمية اليوم لاستنتاجات مذهلة ألغت الكثير من الظنون الخاطئة في السابق. ولكن المثير أن تستخدم هذه

المفردة لإشاعة الشك والحيرة في هذا الجيل إلى الحد الذي تطالبه بالاستغناء عن أبسط الواضحات!.

ولعلّ الإنشغال بالجزئيات أضعف العالم اليوم عن التفكير بالكبريات، فالبحث عن اكتشاف محدود هنا أو هناك، لا يبعث على التأمل في الغاية التي ننطلق منها لهذه الاكتشافات، أو حتى في سؤال عابر لهذه المتناثرات ليصوغها في عبارات كلية شاملة، ولهذا يصعب مع فقدان الغايوية (الغايات) والغوص في الجزئيات أن نصل إلى كبريات أكثر جسمية وأكثر جرأة.

وينقل عن اينشتاين قوله: إنه «يظهر لي أن الكثير من الناس وحتى العلماء المحترفين أنهم شاهدوا الآلاف من الأشجار ولكنهم لم يروا غابة أبداً»، كدلالة على قصر نظرهم عن الحقيقة الكبرى وراء الحقائق الصغرى التي تحت أيديهم^(١).

19 وكذلك فإن اللهات العالمي وراء الاكتشافات ألغى فعلاً

فكرة (الحاجة) إلى الكبريات، والنتيجة أن تاريخ العلم يدلنا على أن الحاجة إلى الاكتشاف هي التي صنعت مثل هذا الاكتشاف،

(١) *The Meaning of Science, Tim Lewens, A PELCAN INTRODUCTION.*

وإن النظرية الجديدة تولد من رحم فشل ما، وحاجة ما إلى الجديد دائماً.

والنتيجة أصبحت قاسية، فعندما لم نلتفت إلى حاجتنا الحضارية وإلى مثل النهوض، أو إلى الاختراع والابداع، أو إلى الاستقلال المعرفي، لم نصنع منها شيئاً، فالحاجة أم الاختراع، وطالما لم نتأمل بحاجتنا إلى هذه الأمور لم نصنعها بالتأكيد!

فالإبداع والتأصيل وإيجاد النظريات والانتاج المعرفي لا يأتي من تحذلق ما فقط، أو ذكاء فقط، أو التفات فقط، بل إلى حاجة أيضاً، وهي التي تصنع في داخلك الانطلاقة لاكتشافه، وهذه من الغرائب المجربة!

لذا لا يصحّ نقد الفاشلين دائماً، فالكثير منهم صاروا لاحقاً من أكابر العلماء عبر التاريخ، وربما كان الشعور في أن يتفوقوا جعلهم أذكاء إلى حد التوقد والمثابرة الدائمة.

ولكن لنكن أكثر دقة في اختيار عبائرننا، فحاجتنا إلى الاختراع لا تعني صيرورة التفكير البشري خاضعاً لحاجتنا المتغيرة، وبالتالي يأتي البعض ليقول إن التفكير خاضع للتغيرات والمتجددات، ونتيجته إن الفكر يتغير دائماً ولا يستقر على حال،

فهذا غير صحيح من مقولتنا، حيث عنيّا بها أن الفكر يحتاج إلى إطلاق الحوافز، وإيجاد الثغرات العلمية من إلتفات حاجتنا إلى سد تلك الثغرات، وكذلك في ملاحظة قوانين الكون التي تتكشف عند آخر رمق من السكون والهدوء والتأمل والتضرع بين يدي خالق الكون.

مسؤوليتنا الفكرية:

وحينئذ، أي حينما نعيش في زمن المعلومات المتشابكة التي أشغلتنا عن أي إضافة معرفية، فلا بدّ حينئذٍ من أمرين:
الأول: أن نشغل على فكّ هذه الملابس، وحل هذه الاختلالات. ففض التداخل المفاهيمي اليوم ليس بالهين خصوصاً وإنها مسكونة بإيديولوجيات ومنافسات ورهانات.

21

فالمفهوم يحمل في مضمونه فلسفة ما أو تعقيداً ما، وتلابسه يغرقنا في التنافس الإيديولوجي، فهناك حرص من الكثير من الدول والسياسات العالمية والإقليمية في إثارة هذا التلابس ليستطيعوا تطويعه باتجاه ما يريدون من تنافس سياسي أو إيديولوجي.

مع الإشارة إلى أن المفاهيم تنطوي فيها حضارة الأمم، وتلتقطها وسائل الإعلام كمفردة جاهزة تحمل في دلالاتها المضمونية الكثير من الفلسفة والمعرفة. ولذا يسهل ضرب الآخرين عبر تمويه أو تغريب هذه المفاهيم، والقضاء عليها إنما هو قضاء على الفلسفة والأطر الحضارية والمضمونية التي في داخلها.

ومعنى هذا أن المفاهيم اليوم تنتشر مع المزيد من التشويش وعدم التحديد والميوعة والسيالية، لیتاح للأقوى ليّ عنق النصوص وتصديرها بالشكل الذي يناسب مزاجه وإيديولوجيته.

مع مشكلة أخرى، وهي مسألة المفاهيم المستوردة التي تحمل في طياتها فلسفة غيرنا، وإيديولوجيته، والتي قد تتقاطع مع الكثير مما نملكه، وبالتالي نحتاج في استخدامنا لها أن نقطعها عن جذرها الفلسفي، وتبيّثها، أي صيرورتها ضمن بيئتنا ونفي كل العناصر المميتة فيها والعناصر المسكونة بالعداء لنا أو تثير تحفظاتنا.

والثاني: وهو المهم، وهو إن العصر الحاضر، أو عصر

المعلوماتية والقرية الكونية يحتاج اليوم أكثر من أي شيء مضى إلى التفكير بالجدّة أو الإضافة المعرفية وليس فقط التفكير بالمكرور أو اجترار المعلومات التي أصبحت متيسرة ومبتذلة حتى!.

إنه لمن الغريب حقاً أن يكاد عصر المعلومات أن يخلو من التفكير في الإضافات المعرفية، تلك الإضافة التي هي تعبير عن نتاج في التفكير العميق والاستنتاج عبر التأمل الحاذق والصفاء الروحي الخلّاق. ويبدو أن السبب هو الانشغال بهذا التراكم من غير أعمال لقضايا التفكير.

وولدت مشكلة أخرى تبعاً لما مرّ، وهي مسألة عدم الانضباط المعرفي الذي ساق المعلومات من غير الاعتناء بقضية القطعيّات والجزميات وإطلاق العنان للشكاكين وانهيار الحقّانية وصيرورة المعيار لقبول الألقاب أو النظريات هو الحادثة أو الاتساق فقط من غير مراجعة لمسألة الانضباط المطروح.

أمام هذه المشكلات المفهومية تولّدت فكرة إعادة الحياة للإيمان بعد النضوب والجذب الذي ألقى على الكثير من الحواضر العلمية والدينية في العالم العربي والإسلامي، النضوب

المعرفي، والجمالي، والروحي.

هذه المجلة ستتخذ منح في التفكير والاشتغال والتأصيل والصياغة والطرح، وبالنتيجة نحن نريد أن نكون ترسانة فكرية تحاول أن تتزن بكل دقة ولا تزل شعرة - والعصمة من الله وحده، ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]. فنحاول أن نفتح بكل ما أوتينا من قوة وحيوية ونشاط نحو الأسئلة الكبرى اليوم، ولنفكر بكل الأمور المعاصرة من غير أن نقطع عن أصالتنا أو الاستقلال المعرفي الذي ندشنه.

التفكير في الإضافات لا التراكمات:

ولنعود للسؤال المحرج، وهو هل من الممكن التفكير في إضافات معرفية؟

24

وقبل ذلك، هل نزمع أن نخوض الرهانات المعاصرة بلا أطر تفكيرية أو رؤى متناسقة، أو أصالة نتكئ عليها وننطلق منها؟

هذا هو الذي يدعونا أن نخوض هذا المعترك، وليس أن

ننجز الورق الذي لا يضيفي أية مبتكرات سوى أنه ورقة جديدة إلى جنب الأوراق السابقة. أو كما هو الحال في القصة والتي فيها، أن عالمًا قصد بلدة، والتف حوله أهل البلدة ليتعجبوا من حافظته الموسوعية، فذهبوا يخبرون أحدهم عن ذلك العالم الموسوعي، فقال لهم: وما الذي يتميز به هذا، قالوا: إنه يحفظ صحيح البخاري عن ظهر قلب!، ولكن الرجل أجابهم: إذن فقد زدنا في الكتاب نسخة!، إذ لا يوجد لديه شيء غير أن يسجل المعلومة ومن ثم يلقبها عليكم.

بالطبع إن هذا لا يعني الانتقاص من أولئك الموسوعيين الذين حفظوا لنا العلوم، ونشروها، ولا يعني هذا أن نستخف بمهمتهم الجليلة التي قدّموها إلى الأجيال، بقدر ما نريد أن نشير إلى أن هذا لا يشكّل لنا إضافة معرفية.

25 ومن وجهة نظرنا فإن هذه المعلومات المتراكمة التي

يزدهر بها عالمنا المليء بأدوات الاتصال والتكنولوجيا، بحاجة إلى إعادة توجيه هذه المعلومات والبحث في جذورها ومآلاتها ومضامينها، وكذلك في النظر إلى الكونيات والأوليات والاجتماعيات والمعنويات والسجلات الإنسانية الحاضرة.

وإذا أردنا أن نحقق الإضافة فلا بدّ من أن نحقق الذاتية أولاً، أي أن ننطلق من صبغة الآخر إلى صبغة الذات المفكّرة، ومن صبغة التقليد إلى صبغة الاجتهاد والذي يعني أعمال النظر في المسائل الفكرية والتشرّب من مضامينها إلى الحدّ الذي نستغرق الكثير منها في التفكير في المآلات والنتائج والمشكلات لنتبج الاجتهاد أو الاستقلال أو الإضافة.

فننطلق في الإضافة من أن يرصد العقل مجمل الأفكار التي يريد أن يرتبها ويكشف عللها ومكوناتها، ومن ثم تحليلها وإضافة الجزء المتمم للنتيجة التي نريد أن نرتبها. في أن نرجع في مثل ذلك الأمر الصعب إلى مصدريّاتنا وأساسياتنا، إلى القرآن الكريم، وإلى السنّة المطهرة، حيث يخبرنا الوحي عن كل ما استعصى فهمه خارج أفقنا، أو إثارة سؤال عن غائياتنا، أو تعزيز مصدر الإلهام لدينا، أو موجهاتنا الأخلاقية.

الإضافة المعرفية، من إشكاليات النهوض والنكوص المعرفين، ففيما لو وقفت الأمة على قدميها معرفياً فإنه بالتأكيد سيقودها هذا إلى نتائج باهرة.

ومن ثم تأتي مرحلة إعمال الذاتية في التفكير والذي لا بدّ من أن يمر بمرحلة نقد وتمحيص للموروثات الاجتماعية والبؤس العقلي الذي يعيش في الخانات المظلمة، وأخيراً في الانتاج الإضافي، إذ من غير المعقول تماماً أن نطلق مقولات الإضافة دون أن تكون هناك أضافة حقيقية، أو أن نرتجل الشعارات التي تنادي بالإضافة دون أن تكون هناك مضامين مضافة حقيقة.

وأيضاً فإننا نشير لما أشار له توماس كون في كتابه بنية الثورات العلمية الذي نشره عام سنة ١٩٦٢ إذ لاحظ أن العلماء ليسوا ملاحظين يقومون بقبول أية معلومة والاحتفاظ بها مثل أنظمة الحفظ المعلوماتي المبرمجة؛ فهم أناس من دم ولحم عندهم حس باطني وإلهامات، وأحاسيس قوية؛ فإنهم لا يقومون بحفظ الأشياء دون تفحصها. بالإضافة إلى ذلك، عندما يظهر شيء جديد في العلوم، فذلك ليس لأننا نقوم بإضافة معلومة جديدة إلى اللاتحة القديمة؛ ولكنه يتم النظر في المعلومات بأكملها قديمة كانت أو جديدة^(١).

(١) عن قيم الإيمان والعقل في أزمنة ما بعد الحداثة، جون دي كابوتو.

فالإضافة ليست دائماً جديدة، بل هي تمحيص في
القديم، وفي الجديد، فنحن لا ندعو إلى الجديد دائماً بقدر ما
ندعو إلى التحقيق دائماً.



إشكالات وردود





■ حقيقة الجزية على المسيحيين: (لماذا يأخذ الإسلام الجزية من المسيحيين؟)

أسئلة كثيرة حول الجزية في التشريع الإسلامي والتي هي ضريبة على أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى والمجوس - على بعض الأقوال - مقابل أن يعيشوا في دار الإسلام أو في كنف الدولة الإلهية..

والحقيقة أن كثيراً من الأحكام الإسلامية لم تقف الناس على خلفياتها أو تفهم الحكمة التي على أساسها كان هذا التشريع ولهذا نجد أحياناً لوناً من الاعتراض الذي يحصل على هذه التشريعات.

ولكي نوضح حقيقة الجزية في الإسلام لا بد أن نمر بتسلسل في الفهم وفي حال توضّح مثل هذا التسلسل سنفهم حكمة تشريع الجزية وستنتفي كل الشبهات عليها..

وحاصل التسلسل: أنه لا بدّ في الدولة الإلهية من بيعه الناس، كما في دولة النبي الأكرم ﷺ إذ لم يفرض دولته في مكة أول الدعوة بل في المدينة المنورة حيث بايعه الناس.

وكما في أمير المؤمنين عليه السلام حيث نُكثت بيعته حين وفاة النبي صلى الله عليه وآله وتقمصها الأول والثاني والثالث ولم يخرج الأمير عليه السلام ليقم الحكومة ويفرضها بالقسر، بل انتظر عليه السلام حتى بايعه الناس بعدها وعادت الخلافة اليه.

ومعنى ذلك أن الدولة الإلهية أو الحكومة الدينية لو قامت فلا بد أن تعبر عن اختيار الناس وانتخابهم وإرادتهم وأي محاولة لزعزعة النظام أو الانقلاب عليه إنما هو انقلاب على إرادة الناس وانتخابهم.

ومعه لو قام مجموعة من أهل الكتاب (اليهود أو النصارى) بحمل السلاح على الدولة المنتخبة وأعلنوا الحرب عليهم، فحينها يقوم الجيش الإسلامي بالدفاع عن نفسه ويخبرهم بين ثلاثة: إما القتال: وهذا حق طبيعي في أن تدافع عن نفسك.

أو الإسلام: بدعوتهم وترغيبهم بما يترتب عليه من مصالح الدنيا والآخرة.

أو الجزية: وهي أن تعفو عنهم الدولة (مع كونهم حملوا السلاح عليها وحاولوا الانقلاب على حقوقها بل ربما قتلوا وأحرقوا) ومقابل العفو الذي تمنحه الدولة يدفعوا ضريبة مالية،

بحيث لا تطالبهم الدولة بالزكاة أو الخمس كما تطالب المسلمين بل تطالبهم بضريبة خاصة (الجزية) مقابل أن توفر الدولة لهم التالي:

١- أن تعفو عنهم وتسامحهم ولا تطالبهم بما فعلوه كما قلنا.

٢- لهم أن يتمتعوا بكل المرافق الحيوية وغير الحيوية للدولة، ويكونوا مواطنين فيها حالهم كأبي مسلم يعيش ضمنها.

٣- (وهو المهم) أن تقوم الدولة بحمايتهم والدفاع عنهم، ونصّ الفقهاء على أنه يجب ضمان الدفاع عنهم إذا اعتدى عليهم معتد، فإن هذا هو معنى دخولهم في ذمة الإسلام. ولو عجز الجيش الإسلامي عن الدفاع عنهم فيرد اليهم جزيتهم ويسلمهم أمرهم.

وينبغي أن يتوضح جيداً أن أحكام الذمة وشرائطها

33

مشروعة عندما يكون الحرب والجهاد مشروعاً، لا أنه اعتداء على الناس باسم الدين، ولا قيمة لأي جزية أو ذمة من غير أن يكون الجهاد مشروعاً بمعنى شرعية قيادة الحكومة الدينية وكونها معصومة أو نائبة عن المعصوم مع مبايعة الناس لها وصدق حقها

في الدفاع عن نفسها أو إنقاذها للآخرين.

وبهذا يتبين أن الجزية ليست للحط منهم أو لتصنيفهم كمواطنين من الدرجة الثانية أو لمجرد أخذ الأموال بالباطل، بل هو تشريع امتناني ويحمل في مضمونه تسامحاً وتعالياً أخلاقياً راقياً ومحاولة لدمج الجميع في أطر اجتماعية محترمة تتجاوز فكرة الأقليات والاختلافات وتأسيس دولة متينة على أساس المواطنة وتكريم الإنسان.

ثم قد يسأل أحدهم قائلاً: إذا كانت الجزية تشريعاً امتنائياً تسامحياً فما معنى قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ... حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

قلنا: هناك موقفان ينبغي أن يتوضحا:

الأول: من أن الذمي مواطن كالمسلم بلا فرق في حق المواطنة وما يتمتع به، وإذا وجد فرق فمن جهة ترتيب أمورهم لا للحط منهم، وهذا ما أشرت إليه من أن الخيار الإسلامي بين ثلاثة فمرة نتعامل مع قوم دخلوا في الذمة ولا إشكال في تمتعهم بكافة الامتيازات.

وأما الآية فهي تتحدث عن كونهم دون القانون ولا يخرجوا عليه، وكل أحد يكون دون القانون إذا كان حقاً، لا أن يخرجوا على القانون وعلى حق الناس فهنا يأتي التشريع لينادي بإرغامهم ليكونوا دون القانون الإلهي الذي انتخبه الناس ويتصاغروا له، لا بمعنى السخرية بهم..

نعم، ذكروا أن معنى حملهم السلاح والخروج بغير حق على الناس يستوجب أن يتم إخضاعهم بقوة القانون وتهديدهم لكي يُقروا على أديانهم من غير اهانتهم ولا مكان للاعتداء على الآخرين في التشريع الإسلامي، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [النساء: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

الثاني: هو الموقف منهم حال كونهم أعداء ولم يدخلوا في الذمام، كما عبرت الآية (حتى يعطوا الجزية) أي التعامل مع

عدوانيتهم حال الاعتداء وقبل الجزية.. وهنا (قبل الذمام) فالأمر واضح بقتالهم ولا حرمة لأحد ينتهك الإسلام من خلال مبررات عقدية خاطئة أو أي مبرر يحاول أن ينتهك خيار الناس، وهنا لا قيمة للمودة معهم أو التسامح مع قوم يحملون السلاح ليقلبوا الدنيا عليك، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة : ٢٢].

فإذن، نحن نفرق بين مقام كون أهل الكتاب معتدين وبين كونهم يتم إخضاعهم بهيبة القانون حتى يعطوا الجزية صاغرين أمام القانون وخيار الأمة، وبين كونهم ذميين قد دخلوا في الجزية وينبغي احترامهم ولهم حقوقهم..

■ لماذا العقوبات الإسلامية قاسية، كما في حد السرقة حيث تُقطع يد السارق؟

علينا الآن في مقام الجواب عن شبهة قساوة حد السرقة في التشريع الإسلامي ولا بدّ في البداية أن نوضح أن فلسفة العقوبة تشتمل على جانبين:

الأول: العقوبات التأديبية: أي أنّ العقوبة هي نوع تأديبٍ لهذا الشخص المخالف للقانون، ففيما لو سرق وظلم من أجل تحصيل رغبة غير مشروعة فمقتضى العدالة أن تأتي العقوبة لتأديبه بحيث يخسر من راحته بمقدار ما أدخل من الأذى على الآخرين. وتسمّى العقوبة هذه بالعقوبة التأديبية.

الثاني: العقوبات الرادعة: وهي تعالج المشكلة قبل أن تقع لا أن تتعامل معها بعد وقوعها، ولهذا هي رادعة عن ارتكاب السرقة أو الاغتصاب أو نحوها.

فالذي يريد أن يسرق سيارة مثلاً وأراد قتل من فيها والاستيلاء عليها، فمثل هذا لو سمع بأنّه يوجد قانون صارم سيقطع يده، فتشكّل العقوبة الشديدة الصارمة رادعاً مخيفاً عن

ارتكاب السرقة. فيعمل الجانب النفسي من العقوبة على الردع أكثر من الجانب القانوني فيها.

وعليه فإن العقوبات التي عليها أغلب الحكومات والأنظمة الوضعية هي من سنخ العقوبات التأديبية، أي أن السارق يقوم بالسرقة ومن ثم تأتي العقوبة الوضعية لتعاقبه، أما العقوبات الرادعة والتي عليها التشريع الإسلامي فهي تمنع من ارتكاب السرقة من البداية، من خلال إعمال هالة كبيرة جداً من صنع الهيبة والردع النفسي والذي يمنع بالنتيجة من التجري بارتكاب السرقة. فالعقوبات الإسلامية الرادعة تريد معالجة مسألة السرقة من الأساس بحيث لا تسمح بارتكاب السرقة من البداية، لا أن الهدف هو معاقبة المجرم بعد إجرامه، فاجتثاث الجرم من الأساس يستدعي عقوبة ضخمة جداً أو مؤلمة جداً بحيث يكون الخوف منها رداً عن الوصول الى ارتكاب الجرم. فهي تربي المجتمع على أن الاعتداء المعين (السرقة أو الاغتصاب أو نحوها) يساوي صورة الألم الكبير، ففيما لو فكّر أحدهم بالسرقة سيساوي في نفسه وذهنه بين صورة قطع اليد وبين صورة السرقة، وحينما ينفر من قطع اليد ينفر من السرقة بالتبع، فالنفور النفسي

الحاصل من قطع اليد بالنتيجة يذهب لنفس النفور من السرقة ولهذا تكون العقوبة رادعة.

ومن ثم فإن العقوبات الرادعة تحتاج الى تحليل؛ لأنه ليس معنى ذلك أن تقطع يد كل أحد لتخلق جيلاً من المعاقين في المجتمع، بل هي عقوبة نفسية أكثر مما هي جسدية. توضيحه: إن العقوبات الوقائية والرادعة ليست عقوبات جزائية أو بدنية بالذات بل هي نفسية بالأساس، فهي تعمل في مقامين:

الأول: في مقام الردع والتخويف وخلق الجو المنكر لحالة السرقة، فهي في هذا المقام تخوَّف بقطع اليد.

الثاني: حينما نأتي للواقع وتطبيق الشروط التي على أساسها يُحكم بقطع اليد، فهي شروط لا تنطبق إلا نادراً جداً، فهي تخوفك من السرقة وبالنتيجة لا تقطع اليد إلا في فروض نادرة جداً، فيعلم من ذلك أنها عقوبة نفسية بالأساس وغرضها النفسي والسيكولوجي أكثر بكثير من البدني والجزائي.

إذ كيف تحصل على سارق وقد تبين توبته مثلاً فيدراً عنه الحد بتوبته؟!، ولو حصلت شبهة في أنه قد يكون كاذباً في

توبته فيدراً عنه أيضاً!!.

وكيف نحصل على شهادة رجلين عادلين لسرقة حدثت في الخفاء وفي الظلام، ويرانه بالدقة قد اقتحم الحرز (أي المال المحفوظ فيمكان أمين) بنفسه لا بواسطة غيره، ويرانه قد حمل المتاع بنفسه لا بواسطة غيره؟!

وكيف ثبت الحد باعتراف السارق لمرتين في مجلسين منفصلين؟! وكيف نحصل على سارق يقول تعالوا في مجلسين منفصلين وفي كل مرة يقول انا سرقت بهذه الشروط الدقيقة لكي تقطعوا أصابعي، والحال أنه لو اعترف لمرة واحدة لا يثبت عليه الحد.

وفي الشروط أنه لو سرق المال علناً لا سرّاً لم يثبت الحد، ولو سرقه من دون اقتحام حرز (المكان المستأمن فيه المال) كما لو سرق المال من غير كسر أقفال بل وجده أمامه فأيضاً لا يثبت، وهكذا يتبين أن العقوبة الرادعة تخويف بحد السرقة وجانبها النفسي وتأثيرها في اجتثاث السرقة أكثر من واقع تطبيقها الذي لا يثبت إلا بشق الأنفس.

وأما الشروط الفقهية لحد السرقة:

فتنقسم الى شرائط وجوب حد السرقة، وشرائط لإثبات

حد السرقة:

وشرائط وجوب الحد كالتالي: من البلوغ والعقل (عدم الجنون) وان لا تحصل لديه شبهة ويتصور انه ماله فيسرقه، وأن يكون المال المسروق بمقدار خمس دينار ذهبي مسكوك فأكثر والدينار هو (٣.٤٥) غرام من الذهب. والمهم فيمن ينطبق عليه الحد أنه يسرق المال مع كونه محرزاً ومحفوظاً في مكان منيع وغير مأذون في دخوله والتصرف فيه. فلو سرق المال وهتك الحرز، قطع. وأما لو سرقه من مكان غير محرز كما لو وجده في الشارع أو من مكان مأذون في دخوله أو كان المال تحت يده لم يقطع.

ومن هذا القبيل [يعني غير المحرز] المال المستأمن فيما

إذا خان وسرق الأمانة فلا يحد. وكذلك السرقة من الزوج أو الزوجة أو الأب أو الأخ ونحوها فيما إذا لم يكن محرزاً، أو كان مأذوناً في الدخول. وكذلك من هذا القبيل: السرقة من المجماع العامة كالمساجد والحمامات العامة والساحات ونحوها. فإن كل

ذلك مما لا حد فيه.

التاسع: أن يأخذ المال سرّاً، فلو هتك الحرز قهراً وعلناً وأخذ المال، لم يقطع. كما لو جاء وكسر أقفال محال البيع في السوق وأمام أعين الناس لم يقطع.

العاشر: أن يكون المال ملك غيره، وأما لو كان متعلقاً لحق غيره، ولكن المال ملك نفسه، كما في الرهن، أو كانت منفعته ملكاً لغيره، كما في الإجارة، لم يقطع. وأما ما يثبت به حد السرقة، فكالآتي:

الأول: لا يثبت حد السرقة إلا بشهادة رجلين عدلين. بأن يروه قد هتك الحرز وكسر الباب مثلاً بطريقة الخفاء لا العلن وأن يكون قد أخذ ما يعدل خمس الدينار الذهبي المسكوك فأكثر غيرها من الشروط السابق.

الثاني: يثبت الحد أيضاً بالإقرار بالسرقة بشرائطها،

والاحتياط أن يكرر الإقرار لمرتين.

الثالث: يعتبر في المقر الاختيار والقصد، فلو أقر مكرهاً،

لم يقطع ولم يغرم. وكذلك الهازل والغافل والغالط والنائم والمغمى عليه، وأضرابهم، مع فقد القصد، ومثله الكاذب.

الرابع: لو تاب السارق قبل قيام البينة من غير خوف العقاب، سقط الحد، وكذا قبل الإقرار. وأما إذا تاب بعد الإقرار، فالأرجح أن يكون الإمام مخيراً بين العفو والقطع. وأما بعد البينة فلا سقوط.

وباكتمال هذه الشروط يتبين أن أثبات السرقة بهذه الشروط المعقدة لا يحصل إلا في فرض نادر الحدوث جداً، فكيف تحصل على سارق وقد تبين توبته مثلاً فيدراً عنه الحد بذلك؟! ولو حصلت شبهة في أنه قد يكون كاذباً في توبته فيدراً عنه أيضاً.

وكيف نحصل على شهادة رجلين عادلين لسرقة حدثت في الخفاء وفي الظلام، ويرانه بالدقة قد اقتحم الحرز بنفسه لا بواسطة غيره، ويرانه قد حمل المتاع بنفسه لا بواسطة غيره؟!

وكيف ثبت الحد باعتراف السارق لمرتين في مجلسين

منفصلين؟!

ومرّ في الشروط أنه لو سرقه علناً لا سراً لم يثبت الحد، ولو سرقه من دون اقتحام حرز وكان غير محفوظ فأيضاً لا يثبت، وهكذا يتبين أن العقوبة الرادعة تخويف بحد السرقة وجانبها

النفسي وتأثيرها في اجتثاث السرقة أكثر من واقع تطبيقها الذي لا يثبت إلا بشق الأنفس.



■ أين كان الله قبل الخلق؟ ولماذا خلق الله الباطل؟ ولماذا

يقول تعالى: (لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)؟

بصراحة كم سررت أن يرجع الناس بما يلتبس عليهم ويسألون عن دينهم وعن الأفكار التي تراودهم قبل أن ينخر بهم الشك ويسلبهم حلاوة الطمأنينة.. ونحاول هنا أن نوفر الإجابات المناسبة إن شاء الله، طبعاً في حدود ما رزقنا الله تعالى والطاقة المتاحة وما نفهمه.

أين كان الله؟ جوابه: إننا عرفنا اللون الأبيض عندما كان هناك لون أسود وميّزنا بينهما، وإلا لو كان العالم كله أسود لما عرفنا الأبيض. وكذلك الليل والنهار، فلو كان العالم كله ليل لما عرفنا النهار.

المهم، نحن نسأل فنقول (كان هنا البارحة) فهذا السؤال عن الزمان وهو البارحة، والذي هو قياس الليل والنهار، أي دوران الأرض حول الشمس، فيحدث الليل والنهار ونطلق عليهما اليوم والبارحة والزمن.

ولكن لو كنت تنظر من خارج الأرض والشمس، وتنظر

من أعلى لدوران الأرض حول الشمس فلا يقال لك البارحة، لأن البارحة هو قياس لمن هو في الأرض لا خارجها. وعندما ننظر الى الخالق تعالى فهو خالق الشمس والأرض فهو الذي (أُين الأين) أي جعل الزمن وأحدث الخلق والليل والنهار فلا معنى لأن تسأل عنه بالأين، فهو فوق الزمان ولا يحيطه زمان ولا يحده مكان.. وعليه: فهو خالق الخلق مع كونه غنياً عنهم ليس محتاجاً لهم، وهو خلقهم ليربحوا عليه لا ليربح بهم، فهو كامل بالذات وغني بالذات ولا يحتاج لخلقه لكي نقول: قبل أن يخلقهم أين كان، فهو خالق الزمان والمكان فلا يُحد بهما سبحانه وتعالى.

أما السؤال : هل خلق الله الباطل؟

فجوابه: إن الحق هو مطابقة القول أو الاعتقاد للموجود الخارجي، فإن قال أحدهم الشمس طالعة، فنطابق قوله للموجود خارجاً وهو طلوع الشمس، فنقول طابق قوله الموجود خارجاً، فيكون حقاً. إذن فالموجود خارجاً كالأشياء المخلوقة التي حولنا هي حق بالأصالة وكل ما وافقها هو حق.

والنتيجة أنه لم يخلق الله تعالى الباطل، بل الباطل أن

تقول ما ينافي الحق، فالموجود هو الحق وعندما تقول القول المخالف للموجود خارجاً أو تعتقد بخلافه يكون باطلاً أي ان الباطل هو نسبة قولك للحق لا انه مخلوق لله تعالى.

وعليه فإن كل فعل يُسأل عن أن مطابق للموجود خارجاً أو لا، إلا الله تعالى فإنه (لا يُسألُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) لأن كل فعل نطلب مطابقتها للموجود خارجاً بينما الله تعالى كل ما يطلب ان يقارن بفعله هو من خلقه عز وجل، فهو تعالى خلق كل الوجودات بحيث أن كل ما يطلب مطابقتها معه انما هو مخلوق لله تعالى ولذا لا يمكن ان يُسأل عن فعله..

■ لماذا لا يحكم المراجع برؤية الهلال بالتلسكوب؟

ذهب الكثير من الفقهاء والمشهور منهم الى عدم الاعتبار برؤية الهلال بالأجهزة (الرؤية بالعين المسلحة) لثبتوا به الحكم بالصيام او الإفطار.

ونتيجة للاختلاف العلمي الذي يحصل في بدايات شهر رمضان والعيد يخرج علينا الكثير من المعلقين بأنه لماذا لا نتوحد في الصيام والافطار ولا نشير الاختلاف؟ بل بعضهم يمارس الجدل والتشكيك ويكثر الزعيق تجاه الفقهاء وينعتهم بالتخلف والانانية وغيرها مما يدل على تحول اي اختلاف فقهي او علمي الى خلاف عويص يشعله حمالة الحطب من بعض النزقين والمتطفلين على هذه البيانات العلمية.

ونحن هنا نحاول تبسيط الفكرة والاجابة عنها لمن أراد الاستفادة او التفاعل او النقاش انطلاقا من الروح العلمية والاحترام المتبادل، وعليه فعدد من الإخوة ويسألون: لماذا لا يعتمد الفقيه على رؤية الهلال بالتلسكوب وهو دقيق جدا؟

وجوابه: إن القمر عندما يغيب يستتر تحت ظل الشمس

ويقال عنه انه في المحاق (لانمحاق نوره واختفائه) وعندما يبدأ بالخروج بداية الشهر فإنه يكتسب النور تدريجيا، ففي البداية - عند خروجه من المحاق - لا يمكن للعين المجردة ان تراه ومن ثم يتدرج باكتساب النور الى ان تراه العين.

والحكم الشرعي مرتبط تمام الارتباط بالنصوص الدالة على كون الصوم للرؤية كما في صحيحة منصور بن حازم عن ابي عبد الله ع (صم لرؤية الهلال وأفطر لرؤيته فإن شهد عندك شاهدان مرضيان بأنهما رأياه فاقضه) وغيرها من الروايات.

وعليه فالهلال وهو في المحاق وقبل ان تراه العين المجردة ليس هو المطلوب في الشرط المذكور من (صم للرؤية) لأن المطلوب هو المرحلة الذي تراه العين المجردة لا غير. وهذا هو الذي أكدته الكثير من النصوص الدالة على كون الهلال الشرعي والذي تترتب عليه الآثار الشرعية من الحج والافطار والصيام هو ما كان في متناول الناس جميعا وهو العين المجردة (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ).

واما الأجهزة الحديثة فهي تحدد رؤية الهلال ما بعد المحاق اي حال اكتساب القمر القليل من النور وهو في حالة لا

تستطيع العين المجردة ان ترصده. وهو ما يثلم الشرط الشرعي القائل بكون الدرجة في اكتساب القمر للنور تناسب رؤية العين المجردة لا دون ذلك.

كما أنه بمراجعة البيانات الفلكية لسنة ٢٣٢ هجرية، أي زمان الأئمة (عليهم السلام) نلاحظ انهم صاموا يوم الخميس بناء على كون الرؤية بالعين المجردة، بينما كانت البيانات الفلكية تشير لرؤيته ليلة الأربعاء، ومع هذا فإن فالأئمة (عليهم السلام) لم يعتمدوا غير الرؤية المجردة، مع كونهم عالمين بالواقع.

وايضا ينبغي أن يقال أن العديد من الفقهاء يقول بأن شهادة العين المسلحة (التلسكوب او نحوه) بالهلال معتبرة، ولكن في خصوص خروج الهلال من المحاق وصيرورته واضحاً يرى بالعين المجردة، فشهادة الأجهزة الحديثة بالهلال الذي يرى بالعين وتؤكد العين لا اشكال فيه وهو معتمد لديهم ، بخلاف ما لو قيل ان الاعتماد هو على خصوص ولادته وخروجه من المحاق اي قبل ان يرى بالعين المجردة، وحينئذ لا حجية له.

■ لماذا خلقنا الله تعالى؟

بالرغم من أن بعض الموضوعات تحتاج الى مقدمات عريضة للاستدلال عليها وقد تكون المقدمات فيها بيان وشرح لغير المتخصص فيها.. وهذا حاصل في السؤال عن الهدف من الخلق..

وواحدة من المشكلات المعرفية اليوم هي أن الأفكار المعمقة في التفكير الإسلامي لا يتيسر عادة بذلها بطريقة صحفية مبسطة بسطر واحد أو بنعم أو لا.. وتكون بعض الأسئلة غريبة أحياناً كمن يقول بين هذه النظرية (كالنسبية العامة في الفيزياء) في ثلاثة دقائق، فماذا يفعل المرء ليعين مثلها في هذه الدقائق المعدود؟!

ومن حسن الصدف أن شاباً التقيت به سريعاً وقال وكأنه

مستعجل: لماذا خلقنا الله تعالى؟

أجبت: على عجل بطريقته:

من الأفضل الوجود أو العدم (اللاشيء ولم يكن هناك

أي شيء وأي وجود)؟ فمن الأفضل الوجود أو العدم؟

قال: الوجود.. إذن الوجود أفضل، والله برحمته تفضل عليك وأوجدك.. رأيت الشاب وهو متخصص بالطب قد اقتنع وذهب..

ويبدو أننا بحاجة الى اختزال الأجوبة للمسائل العقديّة والمعرفية الإسلامية لتلبي الحاجة الآنية المستعجلة لكثير من الناس..



■ ساعة تقولون (لا إكراه في الدين) وساعة تعاقبون

الناس ونكرهونهم على شيء لم يوافقكم فيه؟

الجواب باختصار::

إن هناك خلطاً يتوصف له السائل الكريم:

فلا إكراه في الدين، وهذا واضح من أنها قاعدة قرآنية دقيقة، ولكن الآية فُسِّرَت بشكل غير صحيح، ومن ثم رتب السائل التفسيرات الخاطئة عليها؛ ذلك أنها في مقام بيان أمر واضح جلي وهو الجانب العقدي من الإنسان، فالإنسان هو الكائن الذي يعيش الفكرة ويتأملها ويؤمن بها أو لا يؤمن بها؛ أي أن الآية الكريمة في مقام بيان الجنبه العقديّة من الدين وأنه لا يمكن إكراه الإنسان عليها، فالفكرة محلها القلب والذي لا يستطيع أحد إكراهه أو إرغامه بالقسر والإكراه.. نعم من الممكن أن تجبر جوارح الانسان على التقيد أو السير باتجاه ما أو النظر إليه أو المشي نحوه، إلا أن تكوين الإنسان ذاته لا يسمح بأن يجبره أحدهم على اقتناع فكرة معينة..

وشاهد الآية معها؛ ففضلاً عن قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي

الدِّين ﴿البقرة: ٢٥٦﴾ وهي واضحة في إرادتها لأصل الدين والإيمان به، فقد كان محل نزولها في نصراني جاء الى النبي ﷺ يشكو اليه أولاده الذين التحقوا بالنصرانية فعرض على النبي ﷺ أن يكرهمهم على العود في الاسلام؛ فنزلت الآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾..

إن العقديات والإيمانيات معارف قبلية تأسيسية في مرحلة الدين؛ لا تشريعات وأحكام والتي تأتي في مرحلة متأخرة..

فالنظام العقدي في الإسلام هو البنية التحتية للدين، ومن ثم تأتي بعده كل التشريعات الأخرى؛ فالنظام الجزائي للنظام الإسلامي يتحدث عن مرحلة ما بعد الإيمان لا قبل الإيمان.. أي أنك تؤمن بالإسلام أولاً ومن ثم تأتي التشريعات المناسبة للنظام لاحقاً؛ فهو يقول إن سرقت ساعاقب، ولا يمكن أن يقول للشارق أنت في سعة ومندوحة لأنك تؤمن بحق السرقة؛ ولا يمكن أن تأتي للقاتل ونقول أنت في سعة ولا نكرهك على ما فعلت لأنه لا إكراه!..

الآية الكريمة واضحة في تأسيس النظام العقدي، فهي

تقول لا يمكن أن يتحقق الإيمان بالإسلام بالإكراه، أو لا يمكن إجبار الناس على معتقداتهم لا انها تتحدث عن الاحكام التي هي مرحلة اخرى وكلام آخر غير مراد من الآية.. ولهذا فكل ما أشكل هو في تعارض الاحكام الفقهية مع الآية الكريمة، وهي بعيدة كل البعد عن هذا التعارض من جهة افتراق بيانها وهو في كون سنخ الايمانيات والاعتقاديات سنخ امور لا يمكن ان تفرض فرضاً بعكس الاحكام ومراداتها..

فالعقوبة ليست على الإيمان بالإسلام أو الكفر، وإنما على مخالفة النظام الاجتماعي العام، كما لو سرق أحدهم أو غش ونحوه..

ومن هنا يتضح الخلط بين مراد الآية وبين العقوبة في التشريعات، فمراد الآية يتكلم عن أصل الإيمان بالدين بينما موضوع العقوبات في الإسلام منوط بتطبيق القانون في الدولة أو الحكومة أو إقامة النظام الإلهي ولا دخل لها في موضوع الآية.

■ لماذا قتل الخضر الغلام في لقائه موسى؟ في قوله تعالى: {فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نَكِرًا} [الكهف: ٧٤]؟..

جوابه:: طالع معي النقاط التالية::

١- لو أنك قتلت إنساناً بيدك فسوف لا تقول أن يدك هي التي قتلت، بل أنت نفسك لا يدك فقط، لأن اليد هي تبع إرادتك وحسب، فهي وإن باشرت القتل لكن الأمر كان من نفسك وذاتك وينسب لك.. ولذلك فالمختار في فعله هو الذي ينسب إليه القتل ولا ينسب للحجارة أو السيارة أو اليد؛ لأن كل هذه الأمور غير مختارة..

٢- إن الخضر عليه السلام كان من العجائب التي أراد الله تعالى أن يربها بنبيه موسى عليه السلام كي يرى حقيقة الحكمة الإلهية أو باطن الأحداث التي تجري في العالم، وهي شبيهة بالتي طلبها إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ

ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿البقرة : ٢٦٠﴾..
وفي الرواية أن موسى عليه السلام لما قدم على الخضر عليه السلام:
«فسلم عليه موسى فأنكر السلام إذ كان بأرض ليس فيها سلام
قال: من أنت؟ قال: أنا موسى بن عمران، قال: أنت موسى بن
عمران الذي كلمه الله تكليماً؟ قال: نعم، قال: فما حاجتك؟ قال:
جئت أن تعلمن مما علمت رشداً قال: إني وكلت بأمر لا تطبيقه
ووكلت أنت بأمر لا أطيقه»^(١).. فحيث أن النبوة لها ثقلها الخاص
فكذلك ثقل إراءة حكمة الخالق في مجريات العالم وتوزيع
القضاء والقدر الإلهيين.

٣- إن قتل الخضر للإنسان لم يكن باختياره، أي أن الأمر
الإلهي تجلّى في الخضر ليقتل الغلام من غير أن يكون للخضر
عليه السلام أي اختيار أو أي وعي خاص، وهذا هو الذي أثار موسى
عليه السلام فاعترض ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا
زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف : ٧٤] فنسب
موسى القتل للخضر، ولكن الخضر أجابه ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾
[الكهف : ٨٢] فهو لم يكن ليقته لذنبه،

(١) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٨.

إذن فالقرآن الكريم مقاصده وإرادة الكلام فيه على نحو الحكمة المتناثرة، فالقانون أو التشريع أو غيره لا يكتفى فيه أن تنظر الى نفس الآية بل لا بدّ من الظهور المجموعي لكل السور التي تتحدث عن موضوع معين لتحديد المعنى المراد.. فالحكيم تعالى يؤخذ بكل كلامه وحدوده لا ببعضه.. ولذلك فإن القرآن مثلما تحدث عن قتل الخضر لذلك الغلام تحدث أيضاً عن لسان الخضر (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي)..

فهو ﷺ لم يفعل ذلك بإرادته الخاصة واختياره الخاص، وانما أراد الله تعالى بحكمته أن يُعوّض الأبوين بولدٍ آخر يكون خيراً منه زكاةً وأقرب رحماً، حيث كان يخشى من أن يُرهق الغلام أبويه بطغيانه وكفره مقتضى مالكية الله تعالى لخلقه وحكمته غير المتناهية تقتضي أن يكون له صرف الحق في نقل أي أحد من هذه الدار الى دار البرزخ.. فهو تعالى أراد أن يعوضهم عنه بنبي من الأنبياء كما ورد في بعض الروايات..

وكأنما كان الخضر ﷺ هنا كاليد للإنسان حينما نقول

قتلت يدي في الوقت الذي لم تكن ليده أي وعي بالأمر..

٤- إن الملاك الذي حصل في الحوادث الثلاثة (ثقب

السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار) انما هو ملاك واحد وهو كونه من عند الله تعالى من غير مدخلية الإرادة الخاصة للخضر عليه السلام، وهي كما في النبي صلى الله عليه وآله حيث لا ينطق أو يفعل عن الهوى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم ٣-٤] والشاهد في ذلك أن الآية أرجعت مصدر الأفعال التي وقف موسى عليه السلام بإزائها متحيراً، حين قالت: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] فمقتضى كون علمه بتعليم وإضافة من لدن الحكيم عز وجل فقول الخضر حينئذ أردت أو أردنا إنما هي في طول واحد وإرادة واحدة، وهي من الله تعالى ..

كما ان القتل المذكور من باب التسيب، أي لما اقتصته حكمة الله تعالى بحضور أجله، فالخضر عليه السلام تسبب بقتله من غير أن يكون لاختياره دور، إلا على نحو كونه سبباً من الله تعالى وفقدانه للاختيار حينئذ.. أي ان الخضر كان سبباً كما لو كانت الحجارة سبباً، مع فقدانهما للاختيار حينئذ، وحكمته لأن الله تعالى أراد أن يعوض أبويه، لا أنه استحق القتل وفق قوانين عالم الدنيا والتي لا بدّ من الجناية ليستحق العقوبة..

■ عقوبة المرتد (وهي الخروج عن الإسلام) القتل، ألا ينافي قتل المختلف دينياً الحرية ولا إكراه في الدين؟!...)

نحاول التوضيح من وجهة فكرية لا فقهية؛ لأن الملابس التي تتاب البعض تجاه بعض التشريعات هي فكرية بالأحرى ولا مجال لتوضيحها والخلفيات التي تقف عليها إلا من خلال البيان الفكري المقارن، وعليه يبقى التخصص الفقهي هو الذي يحدد الافتاء بالحكم طبقاً للقرآن الكريم والسنة الشريفة، فيما تختص بعض التشريعات لدقتها وغياب حكمتها وخطورتها بحاجة الى توضيح فكري يثير مواضع الشبهات ويعالج التوجسات فيما لو وجدت.

وهنا نجيب من خلال نقاط:

١- لا يمكن أن يتحقق الإيمان بالإسلام بالإكراه بمقتضى قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]؛ فالإيمان محله القلب وهو مما لا يمكن إكراهه، فأنت لن تستطع إجبار أحد على أن يحب أو يكره أو يؤمن .. إذن لا شأن للحكومة الإسلامية في اعتقاد المرء كان كافراً أو مسلماً..

٢- أنه لا بدّ في تأسيس أي حكومة دينية من بيعة الناس وانتخابهم، كما في دولة النبي الأكرم ﷺ إذ لم يشكّلها في مكة في بداية الدعوة بل في المدينة المنورة حيث بايعه الناس، ومن ثمّ أي محاولة لزعزعة النظام أو الانقلاب عليه إنما هو انقلاب على إرادة الناس وانتخابهم بالنتيجة.

٣- يوجد فرق بين الحكومة الدينية والحكومة الديمقراطية، ذلك أن الحكومات الديمقراطية مبنية على عملية الانتخاب وحرية الفرد والمصلحة والبراغماتية، ولو ضرب هذا الأساس لانهار النظام الديمقراطي، ولذا تجد أمريكا وغيرها من الدول تشن الحروب بعنوان (أن هذا الحكم استبدائي يصادر الحريات)..

أما في الحكومات الدينية، فإن الدين هو العمود الأساس في تكوينها، وأي محاولة لضرب الدين هي محاولة للانقلاب على الحكومة الدينية بالنتيجة.

٤- من هنا نفهم، أن الكفر بما هو انتماء لا يهم الدولة أو الحكومة الإلهية، فلا إكراه في الدين، ولكن المشكلة في الإعلان لا الانتماء، أي أن يعلن الارتداد بطريقة استفزازية

لزعزعة عقائد الناس وتخريب إيمانهم، والتلاعب بمصيرهم الأخروي ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران : ٧٢]، كل ذلك لإسقاط الحكومة الإلهية والتي كانت بانتخاب الناس وإرادتهم، فمثل هذا يعد عليه الإسلام عقوبة رادعة صارمة، وهي إما التوبة أو القتل، وبعضهم يميل الى ارغامه بالاستتابة واعلان ذلك تجنباً للعقوبة، وبهذا يدافع النظام الإسلامي عن نفسه كأى نظام في العالم، فالمسألة ليست في كونه كافراً أو لا، بقدر ما أنها محاولة لمصادرة حرية وارادة الناس.. وستشكّل العقوبة حينئذ رادعاً سايكولوجياً قوياً عن ارتكابها..

وهذا الاختلاف سيقودنا للكلام عن بعض الغربيين حيث ينادون اتركوا الآخرين لحريتهم.. ونحن نقول بذلك ولا إشكال في الحرية، لكن لا لكي تضرب أساس الحكومة الدينية، فهنا يتبين أن التنادي بالحرية إنما هو لضرب عقيدة الآخرين ومصادرة حريتهم وانتخابهم لا لأجل الحرية ذاتها.

وعليه فان حكمة الردة، عقوبة رادعة بوجه الحملات

التي تقف بالتلاعب بعقائد الناس وتخريب ايمانهم كمقدمة لإسقاط الحكومة الإلهية، فمثل هذه المحاولات التي تتصيّد للإسلام بالمكر والنفاق وخلق الفوضى وتخريب الضمائر، كل ذلك يكون الإسلام له بالمرصاد.

وقد يعترض معترض قائلًا: لماذا لا تسمحون بنشر غير أفكاركم في بلاد الإسلام وأنتم تقومون بنشر أفكاركم في البلاد غير الإسلامية؟ أليس هذا تناقضاً؟

ونجيب: بأن التهكم أو المساس بالهولوكوست (ما ينسب من حدوث إبادة جماعية بحق اليهود في عهد النازيين في ألمانيا وأوروبا) مخالفة للقانون يعاقب عليها حتى أممياً، إذ يعتبر إنكار المحرقة مخالفة للقانون في كل من ألمانيا، فرنسا، بلجيكا، بولندا، أستراليا، لكسمبورغ، البرتغال، إسبانيا، رومانيا، سويسرا وإسرائيل.

فإذن ليس كل فكرة ولو كانت التحريض على الإرهاب أو القتل أو تخريب مصير الناس أو التجسس على الدولة أو نقض الحكومة والدستور بخلاف إرادة الشعب، كل تلك الأفكار ليست محلاً للترحيب في الفكر الإسلامي، بل حتى في

غيره..

فأي نشر لأفكار من هذا القبيل ممنوع وليس من الحرية

في شيء..

ومن ثم فنشر الأفكار الإسلامية في دولة غير إسلامية لكونها تتعلق بإقامة العبادة ومساعدة الناس، وهي لا تتعلق بالشيطنة أو التحريض على إسقاط الدول..

لا بدّ من التفريق بين الثورة ضد الباطل ومن أجل هضم الحقوق والارهاب والاستبداد، وبين من يحاول ماكرأً أن يقلب الدنيا ويهدر الدماء والامان من اجل نزواته السياسية وحب السيطرة لا غير.. توجد طرق شرعية للتعبير عن انتخابك للنظام او عدمه، لبيعته أو عدم مبياعته، لا تصدر حق الآخرين فيما لو أرادوا شيئاً..

نحن ضد أي انقلاب على ارادة الجماهير، أما إذا كان الانقلاب يعبر عن ارادة الجماهير واختيارها- كما فعلت الأمة حينما انقلبت على الإمام علي عليه السلام، أو على الإمام الحسن عليه السلام - فسلمهم السلطة من غير دماء..

■ لماذا خلق الله الشر والزلازل والبراكين؟

في مقام الجواب طالع معي النقاط التالية::

١- إن الشرور على قسمين: شرور أخلاقية كالقتل والظلم ونحوها، وهي ناتجة عن سوء اختيار الإنسان لا أن الله تعالى خلقها، فنتيجة لطبيعة خلقه الإنسان من كونه حراً ليس مجبوراً فهو يستغل ذلك للإضرار والظلم..

ولو رمى أحدهم حجارة من أعلى السطح على رأس أحدهم.. فإنه حينها استخدم قوته في رفع الحجارة- مع كون القوة من رزق الله له- واستخدم قانون الجاذبية في إسقاط الحجارة، ومن ثم أضرت الحجارة الرجل وفق قوانين الجسم البشري، كل هذه القوانين التي خلقها الله تعالى لا تلغي كون الإنسان حراً مختاراً لأفعاله بلا أن ننسب فعله المباشر إلى الله لأنه فعل ذلك الإنسان، ولكنه استخدم قوانين الكون والجسم لإسقاط الحجارة..

٢- النوع الثاني من الشرور (الطبيعية): كالزلازل والبراكين والسيول، ومثل هذه تعد من العدم لا أنها وجود،

فالعمى هو عدم الإبصار لا أنه وجود مستقل، والجوع هو عدم الشبع، والثكل هو عدم الولد، وهكذا، ومقتضى كون الشرور اعدماً فهي لا تحتاج الى ايجاد فالعدم لا يحتاج الى من يوجد له ولا ينسب لله تعالى..

الزلازل مثلاً تحدث نتيجة عدم انسجام بين طبقات الأرض إذ تنتقل الحرارة العالية من لب الأرض الى الطبقات ثم تتحرر عبر زلازل وبراكين..

وكذلك السيول فهي نسبة عدم انسجام تيار المياه مع مجرى النهر في المناطق الرخوة والضيقة لا أنه وجود مستقل .. وعليه عندما ننسب تيار الماء القوي الى مجرى النهر يتولد السيل لا انه موجود مستقل ينسب لله..

٣- الشرور أمور نسبية، فالسيول مؤذية للبعض، ولكنها خير من جهة أخرى، فهي تخصب التربة وتشحن المياه الجوفية وتحفظ التنوع البيولوجي وغير ذلك..

٤- طبيعة العالم المادي التزاحم، فلأننا في قيد الزمان والمكان، فلا بدّ حينئذ أن يقع الزلازل مثلاً في مكان وزمان ما وقد يزاحم ذلك وجود البشر فيه.. وعليه فهذه الشرور مؤلمة

بمقتضى قانون التزاحم، لا بمقتضى أن الله تعالى هو الخالق لها فهي عدمية نسبية كما عرفت فتحصل المزاخمة بين خيرها لشيء وشرها لشيء آخر..

وبعبارة أخرى: إن العالم المادي أو الدنيوي لا بدّ فيه - حال وقوع أي حدث - من زمان ما ومكان ما، فالعالم المادي يلازمه الزمان والمكان.. وحيثُ إذا ما وقع زلزال في صحراء غير مسكونة فهو لا يعني شراً لأنه لم يؤذِ أحداً.. وأما إذا وقع في مكان فيه بشر فهذا يعني أن البشر سيتأذون منه.. فلازمية المكان والزمان مهمة. وهذا قانون التزاحم أي تزاحم وقوع الزلزال على البشر..

ومن ثم فإن الشرور عدمية أي أنها عدم كما مر في النقاط.. كما أنها نسبية فهي خير لأناس وشر لآخرين، فتكون أذيتها بسبب العالم الذي نحن فيه؛ إذ تحصل الأذية للتزاحم بين وقوعه في مكان ووجود البشر في ذلك المكان..



٥- إذا أدت الشرور الاخلاقية (كالظلم) الى شرور من نوع طبيعي (كالسيول والفيضانات) والعالم الحديث يعترف اليوم بأن المصانع والاستخدام السيئ للتكنولوجيا والتجارب

الصاروخية والعدم الالتزام بشروط سلامة البيئة، كل هذه تؤدي الى الاخلال بالنظام البيئي للككرة الأرضية بحيث يسبب الفيضانات ونحوها ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف : ٩٦].

وعليه، لو أدت الشرور الأخلاقية الى ما يسمى شرور طبيعية كما في الذنوب التي يعاقب الله عليها فتكون تلك الشرور بالنتيجة عقاب أي أن نتيجة الشر من الألم يعاقب به الله تعالى.

■ لماذا لا نكون كالغرب فنستنسخ علمانيتهم؟

في إطار الحديث عن العلمانية لا بدّ من بيان أمر مهم، إذ ما دامت الإشكاليات تتعلّق بذواتنا أولاً، فلا قيمة حينئذٍ لحلول تفرض نفسها من خارج أطرنا الحضارية وأفكارنا وصيرورتنا وجسدنا الحضاري الذي يمتد لآلاف السنين. فتلك الحلول سوف لا تحل الإشكالية لأن الأزمة تنطلق من ذواتنا التي لم نعالجها بعد، لا من الخارج الذي لا يلمس تلك الجروح ولا يعاين تلك المشكلات.

ونطالع نموذجاً لذلك حينما انطلقت تجربة إعادة بناء ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية حيث كانت مقومات النجاح صعبة جداً إذ فقدت ألمانيا كل بناها التحتية والاقتصادية والتصنيعية، ولكنه وبعد عشر سنوات فقط استطاعت أن تستعيد بناها وموقعيتها العالمية كأمة ووجود وصناعة وكان جزءاً كبيراً من هذا النجاح يعود فضله إلى الدكتور يالمار شاخت والذي كان له فضل كبير في رسم وانقاذ الاقتصاد الألماني بعد الحرب العالمية الثانية.

وفي مقابل ذلك انطلقت اندونيسيا وفق تخطيطات قدمها الدكتور شاخث نفسه، ومع كل عناصر النجاح التي توفرت لاندونيسيا إلا أنها فشلت في تجربتها هذه.

فالتجربة الألمانية نجحت لا لأنها تصرفت في عدد أكبر من الوسائل الفنية مما في رصيد التجربة الاندونيسية، ولكن لأنها تصرفت في وسائل وقيم انسانية تتسم بالفعالية... إن مشروع شاخث في اندونيسيا أخفق لأن هذا الاختصاصي أغفل جانباً مهماً في العملية الاقتصادية، وعاملاً أساسياً فيها، ألا وهو الإنسان، فقد خطط مشروعه المذكور في ضوء معلوماته عن الإنسان الألماني الذي يحمل في معادلته الشخصية معطيات تجربة اجتماعية سابقة، بينما لا يجد إنسان اندونيسيا في طوره الحاضر هذه المعطيات في معادلته الشخصية^(١).

إن مشروع شاخث في اندونيسيا أخفق لأن هذا الاختصاصي أغفل جانباً مهماً في العملية الاقتصادية، وعاملاً أساسياً فيها، ألا وهو الإنسان، فقد خطط مشروعه المذكور في ضوء معلوماته عن الإنسان الألماني الذي يحمل في معادلته

(١) تأملات، مالك بن نبي: ص ٥٨.

الشخصية معطيات تجربة اجتماعية سابقة، بينما لا يجد إنسان اندونيسيا في طوره الحاضر هذه المعطيات في معادلته الشخصية. فعندما نرى تجربة نجحت في بناء اقتصاد، فمعنى ذلك أن شخصية معينة نجحت، أي تنسيقاً جديداً لحركات العقل واليد والمال بدأت تظهر آثاره المحسوسة^(١).

وعليه فإنه لا بدّ من انتماء الحلول وصياغتها بما يناسب الانتماء إلى المجتمع وإلى مضمون أمتنا، أي مضمونها النفسي والتاريخي.

كل ذلك لا بدّ فيه أولاً أن تنتمي لجذور ذلك الإنسان ولفكره ولمبادئه وحركته لكي يحرّكه في إطاره، وإلا فسيغدو ذلك غريباً عليه وبالتالي سيعزله. تلك الحلول وعن ذلك التعاطي، فبدلاً من أن تدمج تلك الحلول وتلك المبادئ ذلك الإنسان في رحبتها، فإنها ستقوم حينئذ بعزله ولا تعطيه أية قيمة وهذا خطأ كارثي إذ أنها ستغدو هامشية عليه - تلك الحلول - أو يكون هو هامشياً عليها.

فالحلول للمشكلات الكبرى للحياة، ومنها العلمانية

(١) السابق: ص ٥٩.

والتي تريد أن تعطي إطاراً لمشكلاتنا وتشخيصها وحلولها وتقدّم النظريات والصيغ للدولة والمجتمع والإنسان ونظراته للحياة والكون، كل ذلك لا بدّ فيه أولاً أن تنتمي لجذور ذلك الإنسان ولفكره ولمبادئه وحركته لكي يحركه في إطاره، وإلا فسيغدو ذلك غريباً عليه وبالتالي سيعزله. تلك الحلول وعن ذلك التعاطي، فبدلاً من أن تدمج تلك الحلول وتلك المبادئ ذلك الإنسان في رحبتها، فإنها ستقوم حينئذ بعزله ولا تعطيه أية قيمة وهذا خطأ كارثي إذ أنها ستغدو هامشية عليه - تلك الحلول - أو يكون هو هامشياً عليها.

فالحلول التي لا تنتمي للأمة ولا لصياغتها ومضمونها ومكوناتها لا تستطيع بالتالي أن تكون تلك الأمة أو تحرّكها وبالتالي ينتابها الجمود والفشل.

من هنا نستطيع أن ننقح نظرتنا للحلّ العلماني أو العلمانية في إطار العالم الإسلامي حيث أودت إلى أن تعيش الأمة معها علاقة الشك والتقاطع بسبب تقاطعها مع المكونات التي تمتلكها. فالإسلام الذي ننتمي إليه يختلف كصيغة ومضمون عن المسيحية في تعاطيها أو قطيعتها مع العلم، ولا مجال في الفكر

الإسلامي لرمي التجربة أو المختبر أو الاكتشاف العلمي بتهمة الخروج عن الدين، ولا تنتمي هذه الصيغة للأطر الحضارية الإسلامية، بل على العكس حيث عاش المسلمون في رحاب التجارب وقدم العلماء المسلمون الكثير من العطاء الفكري والعلمي للبشرية، وبتعبير زيغريد هونكه في كتابها الشهير المثير «شمس العرب تسطع على الغرب»^(١).

وفي الثقافة الإسلامية الكثير من التأصيل عن التمازج والتلاقح بين الدنيا والعمل الدنيوي والنية الحسنة وعالم الآخرة، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

إذن علينا التفكير ملياً في أن نسير بحرية وبعقول متفتحة في مسيرتنا الحضارية، لا أن نعيش التبعية المقيتة والتجسير الحضاري باتجاه الغرب أو المادة والشهوات، ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

ومن الممكن لو أننا اجتررنا مقولات الغرب واجترحنا مقولات التبرير للتكاسل الحضاري لصرنا إلى نتيجة مؤلمة وهي

(١) ترجمه عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي.

أن نكون في آخر المسيرة، وفي آخر القافلة الحضارية، بطبيعة
أننا لا نبدع بل نستهلك فئات الآخرين، وبهذا نكون في الوقت
الذي يتقدم الآخرون نتأخر نحن، و«لو أننا نسير جميعاً دون دخل
للوقت والتطور في حياتنا، ولكن نتطور نحن ومن نقلده، وعليه
فإذا سرنا على مبدأ من تقليده فسنقلده إلى ما لا نهاية»^(١).

فلم تكن مشكلة العلم مع الإسلام كما هو واضح،
وبتعبير برتراند راسل: إنه «حينما كانت تعيش أوروبا في قعر
الوحشية كان هناك رسوخ كامل لشتى العلوم، والفلسفة والشعر
والفنون الجميلة، في الصين والبلدان الإسلامية، ومع ذلك يطلق
الأوروبيون بمنتهى الوقاحة على هذه الفترة اسم «الفترة المظلمة»
بينما كان الظلام يقتصر على أوروبا فقط، أو على أوروبا
المسيحية بتعبير أصح؛ لأن اسبانيا التي كانت تحت سيطرة
المسلمين كانت لديها حضارة وثقافة متألفتان»^(٢).

فتعارض العلم والدين، ومشكلة العلمانية كانت أوروبية

(١) تأملات، مالك بن نبي: ص ٢١٣.

(٢) نظرة على يقظة الشرق، مجلة الهلال، العدد: ١٢، عن العلمانية
والعصرانية: ص ٣٣، وانظر: النظرة العلمية لراسل.

مسيحية بامتياز، ولم تكن يوماً في حسابات الإسلام أن يحصل التعارض بينه وبين العلم. بل يحسب للإسلام جمعه لمنهج الدين والدنيا، وكذلك لمنهج التجربة والاستدلال العقلي والفلسفة والشهود والغيب في آن واحد.

ويذهب غلنسر الذي يعمل على مقارنات بين الإسلام والشرق من جهة والغرب والأديان المسيحية من جهة أخرى، وهو أحد المطلعين الاجتماعيين على البلدان الشرقية والعالم الإسلامي، وإطلاعه هذا حوَّله اجترح نظرة مقارنة ساعدته على اكتشاف التباينات بين هاتين الأرضيتين الاجتماعيتين واجتناب تعميم الأحكام الخاصة بالعالم الغربي على غيره من المجتمعات. يذهب غلنسر إلى أن لكلا المفهومين: التدين والعلمنة، جذورهما في الواقع التاريخي والتجارب الغربية الخاصة، لذلك لا يمكن سحبهما بسهولة على سائر المجتمعات^(١).

75



وكذلك برايان ترنر، إذ يعتقد أن المنظرين الذين اعتبروا أن العلمنة ظاهرة عالمية كانوا على خطأ، أو لا أقل من أنهم

(١) أنظر: علي رضا شجاعى زند، العلمنة في التجربتين المسيحية والإسلامية:

تطرفوا جداً في رؤيتهم هذه^(١).

فيما يعزز جان بول ويليام رؤيته حول نظرية العلمنة ويؤكد على أنها نظرية محلية اقليمية يمكن أن تصدق إلى حد ما على المجتمعات الغربية، لكنها غير كافية وغير فاعلة تماماً بالنسبة إلى المجتمعات الآسيوية والأفريقية ومجتمعات أمريكا اللاتينية^(٢).

ويرى تشارلز تايلور أن العلمانية لا تعني فصل الدين عن المؤسسات الاجتماعية أو الشؤون الاجتماعية، وكان يرى أيضاً أن المجتمع العلماني بإمكانه أن لا يقصي الدين من حياته. نعم، هو يرى أن النظام الذي يسود العالم - طبعاً هو يلاحظ وجهته من نظرتة للمسيحية كما يظهر من كلماته - هو نظام طبيعي وليس نظاماً نابعاً من ارادة الله، أي أنه ليس نظاماً متعالياً، رغم أن ارادة الله لا تزال قادرة على اسهام جاد في تحديد مكان كل شيء في العالم والحياة، سواء كانت حياة اجتماعية أو خاصة... فلا يزال

(١) أنظر: برايان ترنر، ماكس فيبر والإسلام: ص ٢٧٤.

(٢) أنظر: جان بول ويليام، علم اجتماع الأديان: ص ١٣٤-١٣٩.



بمستطاع الله أن يكون ينبوعاً زاخراً بالقدرة على تنظيم الحياة^(١).
كما أن التصور الذي ينظر للمجتمع الديني بوصفه مجتمعاً قدسياً
سماوياً - مقابل المجتمع الأرضي والشرطي - تصور خاص
بالمسيحية ولا يلاحظ في الثقافة الإسلامية^(٢).

(١) ما هي العلمانية، حوار مع تشارلز تايلور، مجلة «بازتاب اندیشه» العدد:

٥٢، ص ١٢٨٥، عن العلمانية والعصرانية: ص ١٤٤.

(٢) السابق: ص ١٢٨٦.

■ لماذا لا يكون العلم والتكنولوجيا هما من يجيب عن حياتنا بدلاً عن الدين؟!..

طالع معي النقاط التالية::

١- العلم كاشف عن الحقائق لا أنه صانع للحقائق،
فقانون نيوتن للجاذبية يكشف عن الجاذبية لا أن قانون نيوتن
يصنع الجاذبية.. ولهذا فالعلم دوره الكشف عن الحقائق فقط ..
ففي البدء نقر بوجود حقيقة وقانون وشيء مخلوق ثم يأتي العلم
ليكشف عن تفاصيله ويصفه.. فأنت تعطي القيمة للعلم الكاشف
عن القانون وتغفل عن خالق ذلك القانون!.. كما لو أنك نظرت
في درجات النجاح لطالب جامعي.. وأخذت تمدح وتقول: كم
جميلة هذه الدرجات، وتغفل عن صاحب الشهادة الجامعية دون
أن تقدم له كلمة شكر واحدة!..

٢- العلم عاجز عن علاج أية مسألة قيمة.. هناك أسئلة
كبرى في الحياة، سؤال الحق والباطل، والحسن والقبح، الخير
والشر، الأخلاق.. كل هذه (المسائل القيمة) لا يجيب عنها العلم
والتكنولوجيا.. يستطيع العلم أن يكشف بتقنية الأقمار الصناعية

وبالفيزياء والهندسة أن صاروخاً انطلق من اسرائيل على لبنان، ولكن هل تستطيع الفيزياء أو الهندسة أن تقول لك من هو على حق: اسرائيل أو لبنان؟! بالتأكيد لا يجيبك العلم لأنه يعجز هنا..

٣- العلم حينما يكون بلا مبررات أخلاقية أو بلا ضمير أو بلا محددات وموجهات لمساره، سينقلب الى وحش عالمي مخيف!.. وخير مثال: القنابل النووية والهيدروجينية فهي قادرة على تفجير الارض لأكثر من ٣٠ مرة بل أزيد من ذلك .. فحينما لا يغذي الدين بمحدداته وموجهاته ضمير الانسان ويهدأ من غطرسته فان العلم سينفلت الى حد الاضرار!..

إذن للعلم مجاله، وللدين خدماته، فلا يستقيم العلم في مساره من غير الدين، كما لا غنى للدين بغير العلم..

■ تحميل الأخطاء على رجل الدين ::

من الأمور المهمة التي تسببت في عطل العقل لدينا هي
أن العديد من الناس كانوا قد أوكلوا عقولهم الى رجل الدين..
-- فمن جهة أعطوه كل شيء وهو يفكر بالنيابة عنهم!..
بحيث لا يقرأون ولا يتفقهون ولا يناقشون، وانما ينتظرون ما
يلقي عليهم!..

-- ومن جهة أخرى هم يحملونه كل شيء، ففشل
الدولة والمجتمع والمدرسة والمستشفى والمصنع والسياسة
وغيرها يتحملها هو وحده دونهم!..

الانصاف يدعوننا الى أن نقف في الوسط.. فليس
المطلوب أن نعطيهم كل شيء ولا أن يتحمل كل شيء..

فهل قال لك رجل الدين أن تغش أو أن تكذب أو أن
تخون وتغدر؟!.. فلماذا هو يتحمل شوك غيره؟!..

وعلينا بالمقابل أن نفهم أن زلة رجل الدين في حق أمته
كانكفاء السفينة في البحر فإنها تغرق وتغرق!..

طبعاً هذا الكلام لا ينطبق على المرجعية الدينية والتي

يرجع إليها الناس كرجوعهم الى المختص..

وانما نقصد من ذلك أنه لا بدّ من الاستماع والتعقل في متابعة رجل الدين.. فلا مانع من أن يأخذوا أدوارهم أو أن يقودوا الحياة الإسلامية في المجتمع، لكن لا بمعنى أن يقول أحدهم للأسود بأنه أبيض أو يقول للباطل أنه حق، ولذا ينبغي إعمال العقل والهدوء وعدم المبالغة في مراجعة رجل الدين ومتابعته!..

وأخيراً نقول: «لَا يُعْرِفُ الْحَقُّ بِالرَّجَالِ، إِعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفِ أَهْلَهُ»^(١)!.. فإن الذي يدخله الرجال في الدين بأن جعل مقياسه الرجال.. كانت النتيجة أن يخرج الرجل من الدين أيضاً من جهة المقياس نفسه!..

نعم، انظروا أين التقصيرات وناقشوها معه.. وأقولها للأمانة والإنصاف أن جزءاً كبيراً من تقصيرات رجل الدين من الممكن تلافيها لو توفر البديل، وهو أن يضحي المنتقد قليلاً ليأتي النجف ويتفقه في دينه ويبلغ أهله وقومه!.. ولكن مشكلتنا إما عمل بلا علم، أو علم بلا عمل!..

(١) بحار الأنوار، للمجلسي: ج ٤٠ ص ١٢٦.

ومن ثمَّ فإنَّ الذي يدخله الرجال في الدين بأن جعل مقياسه الرجال كانت النتيجة أن يخرج الرجل من الدين أيضاً من جهة المقياس نفسه، فمن كان مقياسه رجل الدين لا الدين كان دخوله للدين بسبب من رجل الدين وخروجه ايضاً بسبب رجل الدين الذي كان كالسفينة تغرق وتُغرق من معها!..

وعن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «من دخل في هذا الدين بالرجال أخرجه منه الرجال كما أدخلوه فيه. ومن دخل فيه بالكتاب والسنة زالت الجبال قبل أن يزول»^(١).

طبعاً هذا الكلام لا ينطبق على المرجعية الدينية والتي يرجع إليها الناس كرجوعهم الى المختص، بل نقصد من ذلك أنه لا مانع من الاستماع والتعقل في متابعة رجال الدين، ولا مانع كذلك من قيادتهم للحياة الإسلامية، لكن لا بمعنى أن يقول أحدهم للأسود بأنه أبيض أو يقول للباطل أنه حق، ولذا ينبغي إعمال العقل في متابعة رجل الدين، والمقياس لمعرفة الشريعة ليس هو رجل الدين بما هو هو؛ لأنه ليس معصوماً، بل الشريعة ذاتها هي التي أعطتنا مثل هذه المقاييس في تقييم أقوال وأفعال

(١) السابق: ج ٢ ص ١٠٥.

رجل الدين..

رجال الدين على ثلاثة مستويات علمية::

-- منهم المثقف بثقافة دينية عامة ليست معمقة وانما هو يعلم بعض مسائل الحلال والحرام، وقصص التاريخ، وبعض الشواهد، ومن هؤلاء مجموعة كبيرة من الخطباء والمنبريين..

-- ومنهم المعمم المتخصص في المسائل العقدية أو الفقهية، وتعمقه بالأفكار على نحو أنه قارئ حاذق ومميز للقوي من الضعيف.. ولكنه غير مجتهد بمعنى أنه لا يستبطن ولا يستخرج الأحكام من الكتاب والسنة، ومن هؤلاء أساتذة السطوح العالية وأهل الخبرة ممن يقيم المجتهدين والمراجع، و(المؤلفين) في تخصصاتهم..

-- ومنهم المراجع والمجتهدين وهم ممن تخصص في الشريعة ودقق وحقق في مسائلها فهو يستخرج الأحكام من أدلتها الشرعية (الكتاب والسنة) وهم الذين يُرجع اليهم في الأفكار والتقليد..

وعليه، عندما نجد تصريحاً لخطيب ما وهو يتكلم بما لا

يليق ويضع في الدين ما ليس فيه.. علينا أن نتذكر أن مثل هؤلاء لا يمثلون الدين في المسائل العلمية، لأنهم ليسوا متخصصين وانما مجموعة من المثقفين دينياً..

هذا كمن يجعل رأي المهندس (في درجة البكلوريوس) حجة على المهندس (بدرجة بروفييسور)!.. فمثلاً يوجد تسلسل علمي في الهندسة والكيمياء والفيزياء، كذلك يوجد تسلسل علمي في التخصص الديني..

إحفظوا عني هذا التسلسل في المراتب العلمية، وعندها سنجد الباب مغلقاً أمام البدع والانتقادات والمبالغة في متابعة رجل الدين..

ربما نجد بعض المتخصصين من الطبقة الثانية من أهل الخبرة وهو خطيب أيضاً، ونحن ندعو لطبقة الخطباء العلماء لا الخطباء والمفوهين فقط من أجل أن يضبطوا الحال..

■ لماذا لا نفصل الدين والغيبيات عن الدولة ونعيش بسلام كما الغرب الحداثوي؟

الجواب:: لاحظ معي النقاط التالية:

١- الغرب اليوم يتجه الى ما بعد العلمانية، بمعنى تجاوز النموذج العلماني واعادة الدين الى الحياة وتجاوز فكرة الفصل بين الدين والدولة.. فاذا كان النموذج القدرة الذي تصدره (الحداثوي) يقول برجع الدين فما معنى تجاوز الدين الذي يشكل المنظومة القيمية والعقدية للمجتمع؟!..

٢- من قال اننا نعيش في نموذج لا يفصل الدين عن الدولة؟! أليست الفكرة هي ديمقراطية وانتخابات شعبية وفصل بين السلطات. إن معدل مشاركة العلمانيين في الحكومات العراقية تبلغ ٥٤٪ أي أكثر من نصف الحكومة.. انظرهم بالأسماء:

<http://www.knoozmedia.com/203346>;

سبة -٥٤- من -العلمانيين في-الحكومات-العراق /

٣- الغيب اليوم دخل حتى في الفيزياء الكمومية،

وسيصير محترماً لدى البعض لأنهم قالوا بالرجوع الى ما وراء
المادة واتخاذ الالكترونات السلوكيات التبعية وامتلاكها الوعي
حال الملاحظة؟!!.

ثم إنه من منطق الإيمان الذي تؤمن به: هل نلغي نصف
القرآن الكريم لأن الغيبات لا تعجب؟، وماذا نفعل بالمعاد؟،
بهذا الذي أتى بعرش بلقيس؟، بعيسى عليه السلام الذي كان يحيي
الموتى ويرى الأكمه والأبرص؟، بقصة موسى وإبراهيم عليهما السلام؟..
ألا ترون أن الدعوات التي تطلقونها تتعارض مع جوهر الدين
الذي بين أيدينا ونؤمن به ليل نهار؟!..

■ إن الدين يدعو الى قمع الآخر من خلال الادعاء
بامتلاكه الحقيقة مطلقاً وعدم تسامحه مع الآخر.. كما
أن العديد من المتدينين لديهم خلل بنيوي في عدم
قبولهم لأي نقد..

إن ادعاء الأحقية غير التعايش والتسامح والنقد، فأنا
ادعي ان $3=1+2$ ولا أقبل التنازل عن هذه الفكرة واعتبرها حقاً
لا يمكن التغاضي عنه او تجاوزه، ولكن لو لم تؤمن بهذا لما كان
ذلك مدعاة لعدم التعايش والنصح لبعضنا..

إن الحق والحقيقة كما في $(3=1+2)$ ليست مقولة
متعددة، فالذي يقول أن نتيجتها (٢) لا يملك الحقيقة، أي أن
مقولة الحق لا يشترك فيها من كان يؤمن بالنتيجة (٣) ومن كان
يؤمن بالنتيجة (٢)، ولذا الحق بطبيعته مقولة باتجاه واحد لا
تنقسم للطرفين، فالقاضي عندما يحكم لطرف على طرف،
ويقول بأن فلاناً مجرم والآخر بريء، هذا لا يعني احتكار الحق،
لأن الحق لا ينقسم في نفس الوقت ومن نفس الزاوية الى أن
نفس المجرم في إجرامه بريء ومجرم، بل هو مجرم فقط!..

ما يهمنا أن الجميع مدعو لمراقبة سلطة متبعي الدين
ونصحهم، وربما عدم قبول البعض لبعض الأفكار التي يشخصها
كخطأ معرفي من وجهة نظره لا تدعو الى أن نقول انهم غير
مهيئين بنويًا لقبول النقد، المهم أن نستمع لبعضنا ونقبل أن ينقد
بعضنا بعضا، لكن مرحلة أن آخذ بكل ما تقول شيء آخر غير
أن يستمع لبعضنا ونتفق في الأمور التي نراها صائبة..

■ الدين على خطأ حينما أثار مسألة الجهاد، والجزية، وحتى أن آية { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ } [البقرة : ٢٥٦] يبدو منها أنها نسخت وعلينا أن نمتلك الشجاعة ونقول ذلك، كما أنها لا تناسب والعقوبات التي يؤمن بها الإسلام..

يتماهى الكاتب الكريم مع القول بأن الجهاد هو إكراه الكفار على الإسلام وإلا القتل..

لا أدري لماذا يصر البعض على فهم الامور بمنظور ملتبس؟!، فهل عدم فهم الأحكام الفقهية يجعلكم تتحدثون بجرأة على هذه الاحكام؛ فالجهاد - كما هو مبنى المشهور من الفقهاء - يبتني على أساس اعتداء الآخرين على نفوس المسلمين أو عرضهم أو عقيدتهم أو فتنتهم عن دينهم وحريتهم في اختيار الدين، ولذا لو أن حاكماً كافراً أتاح الحرية للناس لكي يختاروا الدين الذي يؤمنون بلا إجبار أو فتنة أو انتهاك لحقوقهم لكان القتال ضده حراماً؛ كما أن الجهاد واجب مع الإمام المعصوم عليه السلام فقط؛ لتضبط دقائق حركته وإيقاعه بلا أخطاء تنتهك الحرمات؛ قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ﴿٧٥﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة : ٢]، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة : ١٩٣].

وعليه: فلا يصح ان نطلق المعاني جزافاً من غير رويّة ونقول أن الجهاد يقول إما أن تصير كافراً أو أضرب عنقك؛ وأين وجدنا هذا؟!

كل الرسائل الفقهية -ممتناً واحداً- تقول أن الكافر الحربي - المعتدي الذي قتل وضرب ونهب وسلب وحرق - كل ذلك لا يوجب قتله بنظر الإسلام إلا في ساحة المعركة وبعد أن يُدعى للإسلام؟! ثم نأتي ونجني على أحكام الله ونقول دعوة للإكراه؟!..

أو إننا في الجزية دعونا للإكراه؟! وهل توضّح لك مفهوم الجزية؛ والتي لا تأتي إلا على فرض أن النصارى أو اليهود في البلاد الإسلامية يحملون السلاح ويغيرون على

المسلمين ويعتدون وقد يقتلون ووو، ثم يأتي الإسلام ويقول لا يجوز قتلهم إذا حاصرهم الجيش الإسلامي بل يطرح عليهم أحد ثلاثة (مع كونهم معتدين ظالمين) إما قتالكم أو الإسلام أو الجزية؛ والتي تعني نزع السلاح عنهم ودفع ضريبة مقابل أن يوفر لهم المسلمون الجيش الكافي لحمايتهم، وإلا لو لم يقدر المسلمون على توفير ذلك لما كان لهم أن يأخذوا الجزية، كما يجوز أن لا تسمى جزية بل ضريبة أو غيره، وهذا كله موجود في الرسائل العملية، ثم نقول لماذا خالفنا التسامح ودعونا؟!..

وهكذا كل الأسئلة المطروحة بعيدة عما تريدون تصويره، والالتباس منشأه هذا الذي بيته لكم..

إن الإسلام ليس ديناً يتضمن اللطف والرفقة فحسب بل هو دين يتضمن القوة ايضاً، وهذا ينبغي أن يتوضح لديكم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نرمي بأحكام الله تعالى بالبحر لأننا نتعامل باللطف أو الميوعة المغرية ليتسبب ذلك في هدر الدين والشريعة، بل على العكس تماماً فقوة الإسلام في تشريعاته، فللحفاظ على الدولة الإلهية التي يكون أساسها القرآن وشريعة السماء لا بدّ لها من مواجهة الأعداء الخارجيين ويكون

ذلك بالجهاد في سبيل الله، وكذا لا بدّ من مواجهة عناصر الانحراف والزيغ في الداخل الإسلامي ويكون ذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

إذن الآية الكريمة ليست في محل التعارض مع الأحكام لأنها ليست بصدد بيانها، وإن كانت فهي بصدد بيان العموم غير المخصص ببقية الآيات - كما مر بعضها - والروايات الكثيرة..

وأصوّر أن مسألة العنف في الإسلام وغيرها تحتاج الى طروحات موضوعية لحلحلة إشكالاتها وتقديمها بصيرورة منصفة.. بعيداً عن التشنج والعاطفيات.. وليس صحيحاً أن ندخل الناس في مناقشات مشوشة بدون حصانة..

لا أقل كان لا ينبغي التشويش والتشطي في طرح الإسلام كأنه أحكام فقهاءية غير معصومة بل يمكن التنازل عنها أو القول بأنه لنكن شجعاناً ونرمي بعضها ونقول قد نسخت!!..

عموماً فالإشكاليات الفكرية المطروحة قابلة للمناقشة من أكثر من وجه وتبين لكم منها ذلك، وإلا فقد رقلوبنا يتسع لمن اختلفنا معه في أفكارنا..

■ يقول البعض: لا حاجة لتقليد المراجع، لأنه رأيت من بين لي خطأ التقليد والذم له.. وأحدهم يطبل له ويقول: نعم لا نقلد!!..

أقول وباختصار::

رأيتك في أن لا تقلد إنما هو بالحقيقة تقليد، لأنك تتبعه فيه!! وهل معنى التقليد إلا الاتباع.. لاحظ المغالطات!!..
ثم إنه لا مفر في هذه المسألة: إذ أنك كيف تأخذ دينك؟:

--إما أن تجتهد، وتستخرج الأحكام من الكتاب والسنة، بعد الاستقصاء والتمحيص والقراءة والجهد ووو..

--أو تتفحص في آراء الفقهاء وتكون لك قدرة التمييز فتتبع في كل مسألة الاحتياط بمعنى أنك تأخذ جانب التحفظ في الموقف بحيث لا تخالفهم جميعاً، كما لو قال أحدهم بحرمة السكائر والآخر بعدم الحرمة فتحتاط بالترك لسلا تخالف أحدهما..

--أو تكون المسألة واضحة لديك جداً وبديهية فلا تحتاج تقلد أحدهم، كحرمة السرقة والقتل ووجوب الصلاة

والصوم واستحباب الزواج وووو.

-- أو تقلد فيما لا تعرف بمعنى أن ترجع للمتخصص
ليبين لك أمرك في دينك..

وهذه الطرق الأربعة: هي ما ينص الفقهاء عليها في:
المسألة رقم -١- من رسائلهم العملية: «يجب على كل مكلف::
--- لم يبلغ رتبة الاجتهاد..

-- أن يكون في جميع عباداته ، ومعاملاته ، وسائر أفعاله
، وتروكه : مقلدا..

-- أو محتاطا..

--إلا أن يحصل له العلم بالحكم ، لضرورة أو غيرها ،
كما في بعض الواجبات ، وكثير من المستحبات والمباحات».
إن من يريد أن لا يرجع للمتخصصين في الدين ويقول
لا نقلد المراجع وأنهم لا يغنوننا شيئاً..

هؤلاء لا يريدون أن يعلموا ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ
كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٤٣].. فمن لا يسأل أهل الذكر لا يعلم
وبالتالي لا يعمل!! أي أن من لا يسأل أهل الذكر فإنه لا يعلم،
وإذا كان لا يعلم فهو لا يقوم بأي عمل لأنه جاهل!! وهذا معناه

أنه لا يعلم ولا يعمل بأي شيء وكأنه لا وجود للنبوة والإمامة
والتشريع..

انها عملية مقصودة لإهدار الشريعة والخروج عنها
والانفلات عن كل شيء..



■ يسأل أحد العلمانيين قائلاً أن: الإسلام كان في فيه رقيق وعبيد.. وهذا يكفي في إدانة الإسلام...

الجواب:: طالع معي النقاط التالية::

١- هل تعلم أن تجارة البشر والرقيق في أمريكا وبعض الدول (اليوم وفي الوقت الحاضر) يصل الى ٣٠ مليون إنسان، أي عدد سكان العراق؟؟!!..

٢- هل تعلم أن الامم المتحدة اتخذت يوم ٢ كانون الثاني من كل عام يوم إلغاء الرق وتحاول أن تثقف عليه؟! لما يمتلئ به الغرب من تجارة النساء (للدعارة) والأطفال (للاستخدام واللوواط)!!..

٣- هل تعلم أن نظريات (التشيؤ) اليوم تغزو العالم، أي النظرة للإنسان كشيء من الأشياء لا تتعدى قيمته الأشياء التي تحيطه؟؟!!..

٤- هل تعلم أن الغرب يمتلئ اليوم بنظريات (ما بعد الانسانية) والتي تعني الاعتماد على التكنولوجيا للوصول الى نتائج محسنة وإزاحة المسنين والأغبياء والمرضى عن العمل

لأنهم لا يعطون نتائج اقتصادية مثالية؟!.. مما يعني أنه حتى الإنسان الحر (وفق هذه الدعاوى) لا يعدو كونه حاجة كالعبد..

٥- هل تعلم أن الإسلام أصدر ١٤ قانوناً وتشريعاً لإلغاء الرق؟!..! أنظرها: (قانون عتق الصدقة) (عتق الكفارة) (الخدمة) (العمى والجذام والاقعاد) (الاستيلاد) (التدبير) (المكاتبة) (السراية) (تملك احد العمودين او المحارم من النساء) (تملك الانثى احد العمودين) (اسلام المملوك قبل اسلام مولاه) (تبعية اشرف الابوين) (التنكيل)..

٦- هل تعلم أن فكرة السجن البديل الغربية والتي تعني الغاء السجون ودمج السجناء في المجتمع وفق تقنين خاص، هل تعلم أن هذه الفكرة هي عين فكرة الاسترقاق في الإسلام؟!..! ذلك أنه يوجد كفار يحملون السلاح على حكومة إسلامية

97

منتخبة وفي حضور المعصوم، ويقتلون ويحرقون ويبيدون، ففي حال اسرهم أما أن يُطلق سراحهم وأما أن يسترقون بمعنى لا أن يسجنون وانما يخدمون في المجتمع لسبع سنين فقط (كما في بعض الروايات).. والرق استخدام لهم كعمل لا ملك لهم

بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء : ٧٠] ..
وفكرة السجن البديل شبيهة بهذه تماماً..

أنا متأكد أن هذا الأخ العلماني يدين الإسلام على شيء
لا يعرفه، وانما الناس أعداء ما جهلوا!.. ولذلك ندعو دائماً الى
التريث في أصحاب الشبهات لأنهم لا يعرفون خلفيات واسس
الاحكام الاسلامية ويشتبهون في التقييم!..

■ لماذا حرم الله الغناء؟ ولماذا نلتزم بأمور لا نعرف معناها؟

نحاول أن نجيب بعدة أجوبة:

الجواب الأول: إن أصل الدين والإيمان به يأتي بالعقل إذ لا يجوز أن يعبد الإنسان الله تعالى من غير أن يقيم الدليل عليه فلا بد أولاً من التدليل عليه عقلاً..

وعليه فإن قبولنا بالصوم والصلاة والحج وحرمة الغناء وسائر العبادات ليس تعبدًا محضاً من غير دليل، بل نحن أتينا بالدليل على وجود الله تعالى واستدللنا على حكمته وعلمه وقدرته، وأنه منزّه عن العبث واللهو وأنه خلق الكون الواسع الكبير بمنتهى الاتقان والحكمة.. فحكمته في خلقه وكونه وصنعه هي ذاتها حكمته في تشريعاته، فالكون الواسع الرهيب والنجوم والكواكب والاقمار والبحار والهواء والمخلوقات، كل ذلك يدل على حكمة غير متناهية، فحكمته في خلقه هي ذاتها حكمته في تشريعاته، وهذا الذي يدعونا إلى أن نقول بأن خالق الإنسان أعرف بما يصلحه..

وهذا معنى ما ورد عن علي بن الحسين ع: «إن دين الله عز وجل لا يصاب بالعقول الناقصة، والآراء الباطلة، والمقاييس الفاسدة، ولا يصاب إلا بالتسليم»^(١).

هذا نظير ما لو أن أحدهم أراد أن يرسل مبلغاً كبيراً إلى بغداد، فعليه أولاً أن يسأل عن شخص ثقة جداً يحمله معه، وعندما تحرى البلد قالوا له فلان ثقة جداً، وارسل المبلغ بيده ووصل المبلغ إلى صاحبه..

وعليه إذا أراد صاحبنا أن يرسل المبلغ ثانية فلا داعي لأن يسأل من هو الثقة لأنه عرف بالأدلة السابقة أن فلاناً هو الثقة، فيرسل المبلغ معه من غير أن يسأل.. وهذا الحال كما نحن في التشريعات التعبدية التي تلزمنا بالتعبد، إذ أن اعتمادنا على الدليل على وجود الله وعلمه وحكمته ونفاذ حكمته في تشريعاته فلا داعي إذن في هذه التعبديات للسؤال عن حكمته..

100

الجواب الثاني: إنه من الممكن أن نشير إلى كون الغناء حراماً من خلال استدلال بسيط، كما في رواية أن رجلاً سأل الإمام ع عن الغناء فقال له: (يا فلان إذا ميز الله بين الحق والباطل

(١) مستدرك الوسائل: ج ١٧ ص ٢٦٢.

فأين يكون الغناء؟ فقال الرجل: (مع الباطل)، فقال: (قد حكمت).

فلو تميزت الأفعال الى حق وباطل لبان للإنسان الكثير من الأمور.. ومن الطبيعي أن نحكم أن الغناء في جانب الباطل، لما يتضمنه من دعوات للمجون والتشويق غير الشريف للشهوات والنزوات الجنسية والانفلات باسم العشق والحب وكذلك لما يتضمن من دعوة لتسليية الإنسان نفسه لشهواته من غير أن يحكم عقله..

الجواب الثالث: إن للغناء آثاراً سلبية كبيرة لا نعرفها، ولما كانت هذه الآثار يستحيل معرفتها عقلاً أو تجربة فلا معنى لأن نعرفها أصلاً لأنها فوق ادراكاتنا (عقلاً وتجربة).. أي أن هذه الآثار فوق ادراكاتنا المادية ولا معنى حينئذ للعلم بها إلا أن يخبرنا الله تعالى بالحرمة وبحكمته في تحريمه، وهذا هو معنى خفاء حكمة التشريع في التعبدات..

فعن الإمام الصادق عليه السلام: (بيت الغناء لا تؤمن فيه الفجيعة، ولا تجاب فيه الدعوة، ولا يدخله الملك)، وعنه عليه

السلام: (استماع الغناء واللهو ينبت النفاق في القلب كما ينبت
الماء الزرع).



■ هل يمكن أن نصدق بأن الإمام زين العابدين « دفن الإمام الحسين » عبر طي الأرض، حيث كان الإمام زين العابدين « في الكوفة وفي لحظة يسافر الى كربلاء من غير ملاحظة ثم يدفن الإمام الحسين»، مثل هذا لم يرد في رواية فضلاً عن مخالفته للعقل وعدم تحميله لما هو غير معقول، ومثل هذا كثير مما نقل عن كرامات ومعاجز حدثت في يوم عاشوراء وما بعده. هل لكم أن تجيبوا عن ذلك، علماً أن هذا الجواب نقلته عن بعض المسميات التي تنتمي للمؤسسة الدينية بشكل عام؟

الجواب::

مع احترامي للأخ الذي قدم الإشكال، فإنه ساق جملة مغلوطات مرة واحدة، بعضها في التاريخ وبعضها في العقائد..

فيما يخص المعجزات أو الكرامات في يوم عاشوراء وما بعده كثيرة جداً وعدتها التواريخ بالعشرات، يكفي مراجعة تلاوة رأس الحسين عليه السلام للقرآن في الكثير من التواريخ كالإرشاد واثبات الهداة والبحار والمناقب وغيرها..

وكذلك مطر السماء دماً بعد مقتل الحسين عليه السلام كما نقلها العامة، في البيهقي في دلائل النبوة، والطبقات (الطبقة الخامسة من الصحابة) لابن سعد، وسير أعلام النبلاء وغيرها.. فالأمر لا يقتصر على ما ذكرت بل كان هناك الكثير من هذه الحوادث التي رافقت يوم العاشر وما بعده..

ثم إن عدم الايمان بطي الأرض أو التشكيك به مما لا داعي له مع توافر عشرات النصوص والأحاديث الشريفة التي تحكي ذلك، وهل سنرمي نصف الدين في الماء لأن العقلانية المشوهة لا تقبل بذلك؟!

وقبل مدة رأيت تقريراً غريباً وثائقياً عن عمل مرصد فيزيائي كامل من أجل محاولة النقل الآنبي بتعبيرهم، أي النقل دون التغير بالزمن (طي الارض كما نسميه) وقد جرت محاولات لذلك وكانت ناجحة في نقل بعض الفوتونات! فما الضير في هذا المبدأ حينئذ؟!..

وبرأيي القاصر: انه من غير الصحيح أن نتناول العقائد الإلهية والمعارف الدينية بهذه العقلية التي تبرر الأشياء من منطق العقلانية المتداولة، أي منطق أن عقلي لا يتحمل ذلك!.. هذه

مغالطة كبيرة أتمنى على الأخ الكاتب أن ينتبه لها..

واما المغالطات التاريخية فإن المفيد نفسه نقل المعاجز الكثار في دفنه عليه السلام كما في حضور النبي صلى الله عليه وآله عند دفن الشهداء وغيرها..

واما التواريخ التي قال ان الحسين عليه السلام لم يُنقل أنه دفنه ابنه علي بن الحسين فهي رواية أهل العامة كما في الطبري ومروج الذهب.

وإلا فإننا نروي كما في الكشي أن الراوي يسأل الإمام الرضا عليه السلام قال له: «إنا رويناه عن آبائك أن الإمام لا يلي أمره إلا إمام مثله؟ فقال له أبو الحسن عليه السلام: فأخبرني عن الحسين بن علي عليه السلام كان إماماً أو كان غير إمام؟ قال: كان إماماً، قال: فمن ولي أمره؟ قال: علي بن الحسين، قال: وأين كان علي بن الحسين عليه السلام؟ قال: كان محبوساً بالكوفة في يد عبيد الله بن زياد، قال:

خرج وهم لا يعلمون حتى ولي أمر أبيه ثم انصرف.

فقال له أبو الحسن عليه السلام: ان هذا أمكن علي بن الحسين عليه السلام أن يأتي كربلاء فيلي أمر أبيه، فهو يمكن صاحب هذا الأمر



أن يأتي بغداد فيلي أمر أبيه ثم ينصرف وليس في حبس ولا في
اسار»^(١).

(١) اختيار معرفة الرجال: ج ٢ ص ٧٦٤.

■ يقولون لنقلد دول أوروبا فهي تطورت عندما عزلت الدين عن الدولة وارتاحت أوروبا ونجحت وأنتجت نموذجاً علمانياً يتطور مع الزمن!..

طيب الآن تطورت أوروبا أكثر وأصبحوا يدعون لعودة الدين الى الحياة، والحديث العالمي اليوم عن (ما بعد العلمانية) والذي يعني تجاوز العلمانية وإلغاء الفصل بين الدين والدولة، والتصالح لعودة الدين الى الحياة!..

فهو يقلد أوروبا! ومن ثم حينما تركت أوروبا الدين هو كان يدعو للدين!، وحينما رجعت أوروبا للدين ويتحدثون عن أهمية الدين وكونه قوة خلاقة تقود الإنسان الى الخير هو الآن يدعو لترك الدين!..

حوالي ٧٠٠ سنة من السؤال الأخلاقي والضميري والرؤية الكونية للحياة والخالق والحقوق والحقانية ومنهجية التفكير وآليات وحدود المعرفة، تبين الآن أنها على خطأ!!.. والغرب الآن يدعو لتجاوز الخطأ والتصحيح من جديد، وقوم منا يدعون الى أن نرجع الى الوراء ونمارس الخطأ لمدة ٧٠٠ سنة حتى يحق لنا بعدها أن نلتفت الى الخطأ ونغير من جديد..

(متخلفين) حتى في تقليد الغرب!!..

نحن كأمة نملك عدداً من البيغاويين لا يملكها أحد
للأسف، هؤلاء يرددون الأقوال من غير تفكير ويتبرع لهم غيرهم
بالتفكير عنهم!

طبعاً توجد ملاحظة:

-السؤال الأخلاقي والدين والرؤية الكونية، كل هذه غير
التكنولوجيا.. يعني نحن ندعو الى الاستفادة من الغرب في
نجاحه في التكنولوجيا مثلاً، وهذا لا يعني المتابعة له حتى في
أخطائه..

وثم إنه قد يعجبك أن العلمانية اذا قسناها بالحروب ففي
الحربين العالميتين بلغ القتلى ما يقرب من ٨٠ مليون إنسان.. عن
أي علمانية نتحدث؟! اليوم الغرب يدعو الى تجاوز العلمانية
وعودة الدين الى الحياة وفقاً لما يعرف بما بعد العلمانية.. فشل
العلمانية شخصه حتى دعاة ومنظري العلمانية..

ولتعلم أن الأسس الفلسفية للعلمانية لم تتطور ولا
تستطيع ان تتطور لأنها مقولات جافة منكشمة ليس بمقدورها أن
تتفق أكثر مما هي:

لاحظ العدمية، الدنيوة، أصالة الحس، العقلانية، فصل الدين عن الدولة، وغيرها .. وبالتالي ليس صحيحاً ما تتفضل به من أن العلمانية تتطور مع الزمن!!

وأما التطور التكنولوجي الحاصل في الغرب فهو ليس وليدة العلمانية بل هو وليد العلم والتكنولوجيا وهما غير العلمانية، فضلاً عن مقولاً فلاسفة الغرب اليوم كهابرماس وغيره من أنهم يصرون على أن الغرب اليوم يدين بجزء كبير من تطوره نظامه للدين نفسه، وقد سجلت ذلك في بعض كتبي..

ويقول ماكس فيبر أن «العديد من النظريات المادية والاقتصادية لها أصول دينية محضة»^(١).

يقول هابرماس: إن «صرح الدولة الدستورية كما أن القانون العقلاني المساواتي له أيضاً أصوله الدينية»^(٢).

ويقول أيضاً: إننا مدينين للتقاليد الدينية، ولا سيما في كثير من مفاهيمنا المعاصرة مثل: الحرية، العدالة، وهي ذات جذور دينية وأن هذه الجذور لا تزال تغذي فهمنا لهذه

(١) ماكس فيبر، دونالد ماكري، ترجمة: أسامة أحمد: ص ٦٨.

(٢) مستقبل الطبيعة الإنسانية.. نحو نسالة ليبرالية، يورغن هابرماس: ص ١٣١.

المفاهيم^(١). إن الشرعية القانونية لها أسس أخلاقية، وأن هذه الأخلاقية ضاربة جذورها في المقدس، وللعادات القانونية والأخلاقية منذ البداية خاصية الوصفات الطقسية^(٢).

أما الإسلام، وأقصد به دولة تلتزم تشريعاً وتطبيقاً بالإسلام، فرأينا لا توجد تجربة تستطيع أن تصنفها كحروب وغزوات، بل أن العدوان محرم في الشريعة مما يعني أن أي اعتداء يؤشر إلى أن هذه الدولة غير إسلامية التطبيق أو غير إسلامية الدستور..

فضلاً أن الكثير من المشكلات هنا هي بسبب الغرب نفسه وما يشنه من الحروب..

ومع ذلك فالغرب في أوج تألقه اقتبس الكثير من العلوم من المسلمين ولا تنكر إنجازاتهم، فالإسلام الذي ننتمي إليه

(١) Eric Bain – Selbo, (Religion and Rationality), Journal for Cultural and Religious Theory, p.142.

عن في سؤال العلمانية، مجموعة مؤلفين: ص ١٦١.

(٢) Habermas, J., The Theory of Communicative Action, V.2, (Life word and System), p.56.

عن في سؤال العلمانية، مجموعة مؤلفين: ص ١٦١.

يختلف كصيغة ومضمون عن المسيحية في تعاطيها أو قطيعتها مع العلم، وسيأتي كيف أن العلمانية كانت -أحد أهم أسبابها- صنيعة التقاطع في أوروبا بين العلم والتجربة من جهة والمسيحية من جهة أخرى، ولكن لا مجال في الفكر الإسلامي لرمي التجربة أو المختبر أو الاكتشاف العلمي بتهمة الخروج عن الدين، ولا تنتمي هذه الصيغة للأطر الحضارية الإسلامية، بل على العكس حيث عاش المسلمون في رحاب التجارب وقدم العلماء المسلمون الكثير من العطاء الفكري والعلمي للبشرية، وبتعبير زيغريد هونكه في كتابها الشهير المثير «شمس العرب تسطع على الغرب»^(١).

(١) ترجمه عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي.

- سؤال يدعي صاحبه إخراج من يواجهه:
- كيف تمت عملية جمع القرآن؟ كيف تم تحضير الرقع للكتابة؟ حيث تم من خلال دباغة الجلود ومعاملتها لجعلها صالحة للكتابة؟ ولكن كم الفترة التي استغرقتها هذه العملية؟ ومن ثم هل كان العرب في الجزيرة يملكون مثل هذه الحرفة؟ وإن وجدت ففي أي مدينة في الجزيرة العربية؟ هل استخدمت رقع كانت جاهزة من كتب أخرى للكتابة؟ هل تم الاعلان عن عملية كتابة القرآن لكي يأتي اكبر عدد من حفاظ القرآن حتى لا يكون القرآن ناقصا؟ هل كان القرآن بنفس الحجم (اي نفس عدد السور والآيات) الذي هو عليه الآن؟ ام مختلف؟ وهل توجد طريقه لتأكيد ذلك؟ هل كان القرآن منقطاً؟ أم أن التنقيط حصل بعد ذلك؟

إذا كان هذا كلام الله وكتابه ومعجزة محمد عرضة لكل هذه التساؤلات الشائكة والمعقدة، فان تصور الاجوبة على كل هذه الاسئلة ستكون متعبة للذهن والعقل، وعليه هل يصح لنا بعد اليوم ان نقول ان القرآن هو معجزة محمد وانه كلام الله وكتابه؟ أقول

**للمسلم الذي ما زال غارقاً في تقديس هذا الكتاب،
اسعى سعيك وابحث في بطون الكتب التاريخية
وامهاتها، فسوف لن تجد في جواب هذه الاسئلة..**

الجواب::

أحياناً يرتب البعض الكثير من الآراء والأخطاء على
تصورات خاطئة.. ولا أجد نفسي مرهقاً في الجواب على كل
تلك الإشكاليات؛ لأن جوابها بسطر واحد، ذلك أن القرآن
الكريم نزل لفظاً ولم ينزل خطأ.. نزل على قلب النبي ﷺ
وحفظه الصحابة منه، وكان عند علي عليه السلام، وغيرهم، ولكن
المهم أنه نزل لفظاً فلا تأتي كل هذه الإشكالات المطروحة..

لأنه إذا كان القرآن نزل لفظاً وتداولته الألسن والأذهان
حفظاً فلا معنى للحديث عن امكانيات العرب عن الكتابة لأنه
ليس مكتوباً بالأصل، وعملية الدبغ أو تطور عملية الدبغ في
المدينة وكون الرقع جاهزة أو كون الكُتّاب هذه صنعتهم أو لا،
وكم نسخة نسخت منه، أو كونه منقطاً أو لا، أو كون نسخة
حفصة، أو لماذا أن النبي ﷺ لم يوزع نسخاً منه، أو لماذا جعل
المؤرخين يتعبون في تنقيطه.. وغيرها..

كل هذه الأسئلة التي وصفها السؤال بالشائكة والمعقدة
لم تلتفت الى أن نزول القرآن الكريم لفظاً لا كتابة ولهذا تراه
يكيل شيئاً لا يفهم مغزاه ولا يدري أين يرمي سهمه!..
احيانا أتعجب كهذا المستشكل يكيل عشرات الأسئلة
والاتهامات والاستنتاجات ويكون جوابها بسطر واحد، هذا لأنه
لم يدرس الفكرة جيداً أو لم يسأل عنها وتراه يتبجح
باستنتاجاته!..

دليل العلمانية.. كيف لدين (كالإسلام) جاء قبل ١٤٠٠ سنة

ينفع اليوم؟!

الشبهات وجهات الرد

طيب، هي العلمانية بضاعتك عمرها ايضاً ٤٥٠ سنة تقريباً
إذا نسبنا ولادتها لجهود فرانسيس بيكون وبدايات الحروب
الدينية الكنسية في داخل أوروبا وصلح وستفاليا!.

وعمر العلمانية ٥٠٠ سنة تقريباً إذا نسبنا ولادتها الى
جهود مارتن لوتر ونيقولا ميكافيلي وردة الفعل تجاه محاكم
التفتيش!.

وعمر العلمانية ٦٠٠ سنة تقريباً إذا نسبنا ولادتها الى
الاحتكاك الحضاري بنموذج الأندلس وانتقال العلوم الإسلامية
والعربية عبر ترجمتها الى أوروبا وحتى سقوط غرناطة آخر
معاقل المسلمين فيها.

وعمر العلمانية ٧٠٠ سنة اذا نسبنا ولادتها الى نهاية
الحروب الصليبية واستفافتهم على نهاية الحرب الدينية التي
قامت بها الكنيسة وجهود روجر بيكون العلمية!.

■ عندما تسمع كلمة الإسلام السياسي من أحدهم فهو يصنف نفسه الى علماني يقرأ الدين بصيغة مغلوطة..

هذا المصطلح يراد به اثاره الالتباس أكثر منه التوضيح.. حيث يشيرون به الى الحركات الاسلامية السياسية كما أنه يختزن تلك الحركات في التعبير عنها بكونها إسلاماً وليس مسلمين، وهي إشكالية مغلوطة.. لا نجد اليوم من يقف على هذا المصطلح ليفككك دلالاته ويشير الى أخطائه!..

عندما تدافع عن الإسلام تجد من يقف ويقول وماذا حصلنا من الأحزاب الإسلامية؟! والفارق كبير بين أن ندافع عن الدين وبين محاولة الخلط بأن الدين هو الأحزاب الإسلامية التي في الغالب تحكم بإيديولوجية وتفكير علماني!..

فضلاً عن إثارة مصطلح الإسلام السياسي لتقسيم الإسلام إلى سياسي وغيره، وهو ما يشي بكونه توصيفاً غير ممنهج وغير واقعي ويحمل دلالات تقسيم تحاملي غير فني، إذ يؤسس لمغالطة أنه يحصر التدخل في السياسة في إسلام خاص ليوحي من خلاله إلى وجود إسلام بريء عن المشكلات ومن الممكن

أن لا يتدخل في السياسة، بينما يصر الإسلام على أن يعرف ذاته بأنه عقيدة وأحكام ونظم شاملة لكل الحياة، وباستطاعتها أن تجيب عن كل أسئلة الإنسان وأن تقوده إلى نموذج حضاري عتيد.

■ هل الله سبحانه قادر أن يخلق رب مثله؟!...

مثل هذه الأسئلة يطرحها البعض في كل مكان، وهي أسئلة بسيطة لا يتخوف منها، وعلى كل حال نجيب بجوابين مضمونهما واحد:

١- اذا قلنا بأن الله سبحانه خلقه فهذا يعني أن ما فرضته (رباً ثانياً) مخلوق، وكل مخلوق لا يكون رباً! فهو مصنوع وموجود وفقير ومحتاج لغيره فكيف يكون ملكاً واهباً للوجود؟!.. وهذا واضح جداً!..

٢- إن كل موجود يرجع في وجوده وخلقته الى الله، فكل موجود قائم به سبحانه، وهذا يعني أن (ما تسميه رباً) ليس رباً لأنه مخلوق عاجز وقدرته من غيره وقيامه من غيره؛ ولأن الخلق كله لله تعالى فيمتنع أن يتحقق غيره..

أي أن كل غيره (غير الله) محتاج اليه فيمقتضى حاجته يمتنع عليه ان يهب الوجود والحياة لغيره؛ ففاقد الشيء لا يعطيه، فلا يستطيع ان يكون رباً ويمتنع عليه ذلك، بل هو مربوب مخلوق لله تعالى..

■ بعض العلمانيين يقولون: مأسينا كلها بسبب الدين!..

العديد من العلمانيين اليوم يحاولون التمويه على أزماتهم بأن يخلقوا شماعة للفشل وذريعة للانحطاط.. لماذا تعلق فشلك على الدين، هل اخترعت صاروخاً فضائياً وقال لك الدين لا؟!..

هل اخترعت حاسبة كمومية ووقف الدين بوجهك؟!.. هل قدمت نموذجاً في الفيزياء الفلكية أو في النانو أو في علم الانزيمات أو البيولوجيا البنائية، وصدك الدين عنه؟!.. هل قدمت نموذجاً في معمارية الحاسوب والتصاميم البرمجية أو نظرية في علم النفس أو الاقتصاد أو الاجتماع، ووقف الدين بينك وبين إبداعك؟!..

لا شيء من كل ذلك!.. ولكن هي طنطنة العاجز.. والعاجز حينما يتسبد ويتفوه يكون قاسياً دائماً!..

وللملاحظة نحن في العراق نحتكم لسياسة مناهج التعليم التي قررها ساطع الحصري والى اليوم حينما أسس لقطيعة

المناهج مع الدين أو أي تاريخ يشير الى عنفوان ديني!.. بعض الأكاديميين لا يعرف عن نظرية في الاقتصاد الإسلامي أو علم النفس الإسلامي أو النظام السياسي الإسلامي أو حتى في نظرية المعرفة؛ لأنه لم يسمع أو يطالع في الجامعة عن كل ذلك! بينما المئات من رسائل واطاريح الجامعات الأمريكية لمن اطلع عليها- يجدها تبحث عن تفاصيل جزئية دقيقة في كل ذلك!..

التخلف والتبجح والطاوسية التي يتحلى بها بعضنا هنا لا تكاد تنقضي!.. فينسب نجاحه للغرب وفشله علينا!.. بينما هو لم ينجح وينتشل نفسه، ولم يستطع أن يقلد الغرب أيضاً، وبعد أن صار فائضاً لا ينتج أخذ يرمي علينا بما عنده من الصراخ لأنه كل ما يملكه!..

■ **إشكال ورد: قال تعالى {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ} [النور: ٢٦].. لكننا أحياناً نجد أن الطيب ليس للطيبة بل قد يتلى بخبيثة؟!.**

الجواب: طالع معي النقاط التالية::

١- إن الطيبين ممن يعمل الصالحات للطيبات ممن يعملن الصالحات، بمعنى أنه لا يستحق المؤمن الطيب غير المؤمنة الطيبة، فما ينسجم مع فطرة المؤمن ولطافة روحه لا يناسبها إلا مثلها وكأنها تتحدث عن الكفو المناسب، وهي ليست في مقام الإخبار عن كل الواقع الخارجي ومشكلاته حيث تجد نبياً يتلى بامرأة من أهل النار، بل الآية الكريمة في مقام الإخبار عن أن المؤمن كفؤ المؤمن والخبيث لمثله ..

٢- إن الآية واردة مورد الغالب، ومثله كثير في كلام العرب، فحينما يقول: المؤمنون في المسجد، أو النساء جميلات، أو الشباب يدرسون، ونحو ذلك، كله يرد مورد الغالب، فالغالب أن الطيب للطيبة، أو أن الحالة التي تستحق أن يترقى إليها المجتمع المؤمن أن يكون الطيب للطيبة.

٣- اقتضت الحكمة الإلهية أن الطيب للطيبة، وهذا لا ينافي سنة البلاء بأن يُبتلى المؤمن بزوجة معاكسة، ولكن التعويض الإلهي يجري لتصدق الآية الكريمة، فيحشر الذين آمنوا يوم القيامة مع أزواجهم (هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأُرَائِكِ مُتَكَبِّرُونَ) وفي المقابل تجد الظالمين (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ... فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ).. والمراد من أزواجهم قرناؤهم من الشياطين (وَمَنْ يَعَشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ.. حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيُحْسِنُ الْقَرِينَ).

٤- إن الطيب هو المتلبس بالفعل الطيب أي انه طيب في لحظة هو يعمل الطيبات، والخبيث هو المتلبس بالخبيث أي في لحظة هو يعمل الخبيث، والأمر كما الزاني نستجير بالله، فهو فلا يزني وهو مؤمن بل يخرج روح الإيمان منه حال ممارسته الفحشاء، وكذا يخرج روح الطيب من الذي يعمل ويتلبس بالخبيث، فالذي يقوم بالخبيث لا يكون طيباً حينها، لأن الطيب قد خرج منه حينئذ، ومعنى ذلك ان الطيبين صفة لازمة لهم حال هم يعملون الطيبات، واذا عملوا بالخبيث خرجوا من صفة الطيبين الى

صفة الخيشين، فتصدق الآية حينئذ، بمعنى أن الطيبات للطيبين حال هما يمارسان ويعملان الطيب، والخيشون للخيشات حال هما يمارسان الخبث.

٥- إن بعض الروايات تحدد بعض مصاديق (الخبث) أو (الخيشات) وهم ممن يعادي أهل البيت ع الذين أمر الله تعالى بمودتهم. فعن الحسن بن علي (ع): في حديث له مع معاوية وأصحابه - وقد نالوا من علي (ع): (الْخَيْثَاتُ لِلْخَيْشِينَ وَالْخَيْشُونَ لِلْخَيْثَاتِ) هم والله يا معاوية أنت وأصحابك هؤلاء وشيعتك. (وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ) إلى آخر الآية، هم علي بن أبي طالب وأصحابه وشيعته.

■ أرجو أن تبينوا لنا باختصار فلسفة تعدد الزوجات للرجل في الإسلام..

الإسلام ي دشن مفهوماً للعدالة يختلف عن العدالة التي في النظم الوضعية والتي تعني المساواة في كل شيء، فالإسلام يؤمن بالعدالة والتي تعني إعطاء كل ذي حق حقه، لا المساواة التي تعني في مثل تلك المواضع نوع خلل في توزيع المسؤوليات والتشارك.

إن أساس التمايز بين الرجل والمرأة يمكن ملاحظته بوضوح في التكوين والصيرورة العاطفية والبدنية.

فالإنسان «ليس متحرراً عن مجموعة المؤثرات الجسدية الكثيرة أبداً، فالهرمونات والغدد التناسلية، والهيئة العامة للبدن، ووزن الدماغ، والطول، ومراحل الحمل بالنسبة للمرأة، وآلاف النشاطات الفلسجية والنفسية المتعلقة بالوضع البدني - وغير ذلك من المواصفات المعروفة أو التي سوف تُعرف - تلك الأمور جميعها تؤثر على تفكير الإنسان وإدراكه.

وفي جملة واحدة نقول: إن الإنسان، وفي الوقت الذي

يفكر فيه بدماعه ويستعمل جميع قواه الجسدية، فإنه مع ذلك يحب ويتألم ويشكر ويدعو...»^(١).

وبتعبير كانط -والذي لا نوافقه تماماً، إلا أنه يشرح فكرة التمايز- حيث يقول: «إن النساء لا يمكنهن أن يكن أخلاقيات تماماً، نظراً إلى اعتمادهن على الانفعال أكثر من العقل»^(٢).

ومن طرائف ما يُنقل في تاريخ العلماء، من أن أحد العلماء المسلمين جرى كلامٌ بينه وبين رجل يدعو إلى المساواة بين الرجل والمرأة..

فجعل ذلك الرجل يتكلم، والعالم ساكت، ثم قال له العالم: أما الآن فاسكتي أنا أتكلم!..

فغضب الرجل، وقال: تخاطبني بخطاب المرأة!..

فقال العالم: كيف تدعو إلى مساواتها، وأنت لا ترضى

أن تساويها في مجرد ضمير المخاطبة؟!.. فانقطع الرجل في الكلام وضحك الناس!..

(١) الإنسان ذلك المجهول، كارل اليكسيس: ص ١٥٤، عن الترجمة الفارسية.

(٢) أخلاق العناية: فيرجينيا هيلد، ترجمة: ميشيل حنا متياس: ص ١٧.

ولذا فإن الغرب يقع في تناقض عجيب؛ من جهة لا يبيح الزواج الثاني، إلا أنه من جهة أخرى يشرعن حالات الارتباط بالمرأة خارج إطار الزواج، فضلاً عن إباحة الشذوذ.

ان الإسلام ينظر للمجتمع من منظار كلي ويحافظ على الفرد مثلما يحافظ على المجتمع، فهو لا يؤمن بالتأسيس التشريعي للفرد لوحده، ولا بالتأسيس للجماعة على حساب الفرد، ومعه، فإن النظر لكثرة النساء المهيئات للزواج وتوافر العنوسة التي تضرب في المجتمع وما يلزمه من سلبات، ومن حرمان لهنّ من الإنجاب، وخسارة المجتمع لطاقت بشرية هائلة فيما لو تحققت، هذا كله يستدعي التعدد الذي يؤشر له الإسلام.

وفي الغرب تنظيرات ودعوات لارتباط النساء بالطرق غير الشرعية للحصول على الأولاد بعد حرمانهن، وهو شاهد على أن حرمان الرجل من الزواج - والذي هو أحد الحقوق الطبيعية له - مع حرمان المرأة من الزواج أيضاً يسبب مثل هذا العنس والركود في الحياة.

إذن، بدلاً من أن تعيش المرأة غير المتزوجة في حالات الكبت الجنسي القاتل، أو التخيلات الجوفاء، أو تكون عنصر

إغواء في المجتمع، سيكون طريق الزواج الثاني معقولاً جداً حينئذ.

إن الإسلام لا يدّعي أن الزواج الثاني لا يمس العواطف أو يثير حساسية الزوجة، بل هو يدعو الى ترجيح جانب المحافظة على النساء ككل، بحيث يكون للمرأة الحظ في أن تجد حياتها مع الرجل، مثلما أن للرجل الحق أن يجد الزوجة التي تلي مشاعره وحاجاته الغريزية.

عليه فإن الإسلام يؤمن بترجيح هذا الجانب في الإسلام وأهميته وهو جانب الحفاظ على كيان المرأة ككل، على جانب المحافظة على مشاعر الزوجة الواحدة أو المرأة لوحدها، مع أن للمرأة أن تشترط في عقد الزواج ما يمنع من الزواج عليها إن أرادت.

127 وللموضوع تفاصيل عريضة أخرى نوكّلها الى فرصة

أخرى من كتبنا إن شاء الله تعالى..

هذا والحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على

أشرف خلقه وسيد رسله محمد وآله الطيبين الطاهرين..

■ يسأل البعض ويقول: لماذا خلق الله الإنسان وهو يعلم أن مصير بعضهم الى النار؟

ولكن جوابه واضح، فإن الله تعالى انما خلق الإنسان مختاراً لا مجبراً، فهو خلقه وجعل مصيره الى الجنة أو الى النار بيد الإنسان نفسه ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة : ٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر : ٣٨]. والنتيجة أن الإنسان مختار وله أن يعمل الخير وله أن يعمل الشر، والله تعالى خلقه كذلك ولم يخلقه للنار.

كما أن الإنسان لا يقيس نفسه بالله تعالى الذي يعلم كل شيء ومحيط بكل شيء وكل شيء قائم به، ونحاول أن نقرب الفكرة بمثال: فلو أنك نظرت الى نملة صغيرة وهي تعبر السجادة التي أمامك، فإنك حينئذ تعرف أنها ستعبر اللون الأحمر في السجادة الى اللون الأصفر بينما لا تعلم النملة ما ينتظرها بعد اللون الأحمر لضيق أفقها وأنها لا تنظر إلا للحدود التي أمامها ولا تعلم أن ما يعقب اللون الأحمر هو الأصفر. بينما أنت تلاحظ ذلك لسعة أفقك ووجودك عنها فترى ما لا تراه هي. فكونك

ترى ما لا تراه النملة وتعلم بما لا تعلمه لا يعني ذلك كونك مسؤولاً عن مصيرها أو كون النملة مجبرة على أن تعبر باتجاه اللون الأصفر أو الأسود.

وعليه، فلا يقيس الإنسان نفسه بالله تعالى، فعلم الله تعالى لا يدانيه وصف ولا يمكن أن يغيب عنه أي شيء بل كل شيء بعلمه ورحمته، ومعنى هذا أن الله تعالى وإن كان يعلم أن مصير العبد إلى النار ولكن علمه بالشيء (وهو كون الإنسان بالنار) لا يساوي إجباره على ذلك الشيء، فهو تعالى يعلم بكل شيء ولكن اختيار الجنة والنار بيد الإنسان فهو مخلوق مختار لا مجبر، وله أن يختار في أن يضع نفسه في الجنة أو النار. فضلاً عما دله الله تعالى عليه من الخير وتواترت عليه الرسل والأنبياء عليهم السلام وأهل الصلاح، وعما خلقه له من العقل والفتنة ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾ [عبس : ٢٠]، فهذه كلها تدلّه وتذكره فلا محيص من لوم العبد وحده على اختياره فيما لو أخطأ ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام : ١٤٩].

■ لماذا خلق الله المعاق؟

من الإشارات التي يحاول البعض إثارتها أيضاً هذا السؤال، وهو أنه لماذا خلق الله المعاق؟ والجواب عنه توضح عنه مجملاً فيما مضى، والآن نحاول في مقام الإجابة أن نقدّم عدّة نقاط:

١- إن الإعاقة ليست بسبب الخلقة ذاتها، فإنها بسبب من تزاخم المواد في عالم الدنيا، فالإعاقة ليست لمجرد تفاعل بيضة الانثى مع نطفة الذكر، بل يلحقها عوامل كثيرة جداً أثناء تكوين الجنين، كما لو تعرضت الأم للأشعة السينية، أو تناولت مواد كيميائية كالعقاقير الأفيونية أو الكحول أو الماريجوانا (نوع من العقاقير ذات تأثير نفسي)، يستخرج من نبتة القنب الهندي التي هي عشب له تأثير مخدر) أثناء مدة الحمل، أو بسبب مرض في الأم كمرض السكري والالتهابات، أو بسبب عوامل داخل رحم الأم نفسها، كلها تؤدي الى اضطرابات في الكروموسومات.

عن الإمام الصادق عليه السلام في توحيد المفضل قال: (وأنت يا مفضل ترى أصناف الحيوان أن يجري أكثر ذلك على مثال ومنهاج واحد كالإنسان يولد وله يدان ورجلان وخمس أصابع، كما عليه الجمهور من الناس فأما ما يولد على خلاف ذلك فإنه لعلّة تكون في الرحم أو في المادة التي ينشأ منها الجنين، كما يعرض في الصناعات حين يتعمد الصانع الصواب في صنعته فيعوق دون ذلك عائق في الأداة أو في الآلة التي يعمل فيها الشيء فقد يحدث مثل ذلك في أولاد الحيوان للأسباب التي وصفنا فيأتي الولد زائداً أو ناقصاً أو مشوهاً ويسلم أكثرها فيأتي سوياً لا علة فيه)^(١).

وقد تكون التشوهات بسبب التوارث، ولذا ينصح

الدين

بالاغتراب في الزواج لتحري سلامة الأولاد، وعن

النبي صلى الله عليه وآله: (اغتربوا لا تُضوّوا)^(٢)^(١).

(١) بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٥٠.

(٢) قال الشريف الرضي رحمته الله: (وهذا استعارة، والمراد انكحوا في الغرائب، ولا تنكحوا في القرائب؛ لأنهم يقولون: الغرائب أنجب. (والضوى) ضؤولة

٢- إن الإنسان لا بد أن يضع حدوداً بين فهمه وبين قدرة الله تعالى وحكمته؛ لأنه ليس كل ما لا يفهمه يعني أنه ليس بصواب، فالكون اليوم لم يكتشف العلم منه إلا نسبة ضئيلة جداً، وعدّها البعض بقدر ٥٪ فقط!، فالمادة المظلمة تشكل حوالي ٨٥٪ من الكون وهي لا تزال مجهولة الماهية!، وهذه العقيدة صارت اليوم واضحة مع تقدم المكتشفات العلمية التي تضعنا على حدود مجهولة لنا، وإن العلم اليوم عاجز عن أن يحل قضايانا الأساسية وهو الكون الموجود حولنا أو بعض الأمراض التي تعترينا!.

ومن ثم فإن العلم البشري لا يمكن بحال أن يثق بنفسه إلى حد أكثر من واقعه، فضلاً عن أن يعرف بكل شيء، فضلاً عن أن يرى نفسه هو وعلم الله وكأنه لا يرى فرقاً بين المخلوق والخالق وقدرته وحكمته التي لا نستطيع بحال تصورها!.

الجسم ودقته، ويقال: أضوت المرأة؛ إذا أتت بولد ضاوٍ، كما يقال: أذكرت، إذا أتت بولد ذكر. وكانوا يعتقدون أن القرية تُضوي، كما أن الغريبة تُدهي، أي تأتي بالولد داهية.

سأل زنديق الإمام الصادق عليه السلام فقال: (فما هذا الفساد الموجود في العالم، من سباع ضارية، وهوام مخوفة وخلق كثير مشوهة، ودود، وبعوض، وحيات، وعقارب، وزعمت: أنه لا يخلق شيئاً إلا لعلّة؛ لأنه لا يعبث؟).

فأجابه الإمام عليه السلام: ألسنت تزعم أن العقارب تنفع من وجه المthane والحصاة، ولمن يبول في الفراش، وأن أفضل الترياق ما عولج من لحوم الأفاعي، فإن لحومها إذا أكلها المجذوم يشب نفعه، وتزعم أن الدود الأحمر الذي يصاب تحت الأرض نافع للأكلة؟! قال: نعم.

قال عليه السلام: فأما البعوض والبق فبعض سببه أنه جعله أرزاق الطير، وأهان بها جباراً تمرد على الله وتجبر، وأنكر ربوبيته، فسلط الله عليه أضعف خلقه ليريه قدرته وعظمته، وهي البعوض، فدخلت في منخره حتى وصلت إلى دماغه

فقتلته^(١)، واعلم أنا لو وقعنا على كل شيء خلقه الله تعالى لم خلقه؟ ولأي شيء أنشأه؟ لكننا قد ساويناه في علمه، وعلمنا كلما يعلم، واستغنيا عنه، وكنا وهو في العلم سواء!^(٢).

من هنا فإنه حتى لو قلنا بأن وجود العوق ليس معلوم الحكمة ولكن يمكن القول بأن حكمته مجهولة لدينا من جهة محدودية اطلاعنا على الحكمة الإلهية.

٣- إن خلق الله تعالى للعالم بنظام الأسباب والمسببات وفقاً للسنن الإلهية الثابتة يجعل نسبة العوق الى الأسباب المباشرة له لا الله تعالى، كما مر بالنقطة الأولى، أي بسبب أن بعض الشرور يلزم عالم المادة، الأمر الذي يقتضي أن تُعرف نعمه بما يُسلب منها، فتُعرف نعمه وفضله والعافية والكمال بسبب من رؤية النقص، فكما أنك تعرف النهار من تعاقب

(١) إما بالقول أنه يمكن للحشرة الصغيرة الولوج الى الدماغ عبر العظم الغربالي من الأنف، أو عبر الأذن الوسطى ومن ثم إلى الفص الصدغي، أو عن عبر بوق شتاسيوس من البلعوم إلى الأذن الوسطى. أو قد تكون ولجت بطريق إعجازي لكي يثبت الله تعالى قدرته.

(٢) الاحتجاج، الطبرسي: ج ٢ ص ٨٦.

الليل وأنه موجود، فكذا تعرف الكمال من رؤية النقص والعاهة، وهو بالنتيجة ليس منسوباً لله تعالى، بل لتزاحم الأسباب والمسببات على طبق المكتوب من السنة الإلهية والقوانين الحاكمة في الكون، من تأثير المواد الكيماوية أو الأشعة أو العامل الوراثي بالطفل المعاق.

٤- هذا غير أن الصبر على البلاء سيكافئه الله تعالى، فيكون هذا من البلاء الذي وعد الله عليه الإحسان، ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود : ١١٥]، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك : ٢]، ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد : ٢٢].

وغير سقوط التكليف عن ذوي العاهة، فما وضع الله

عنهم بحجم ما أخذ منهم من النعم، وكذلك فإن ما أعطوا غير ما أعطي غيرهم من النعم، وهو الحكيم العليم بما ليس يصلح لكل أحد، فما أعطاه عن فضل وما منعه عن عدل!

وعن جابر بن يزيد الجعفي قال: قلت لأبي جعفر الباقر

عليه السلام: (يا ابن رسول الله إنا نرى الأطفال منهم من يولد ميتاً

ومنهم من يسقط غير تام، ومنهم من يولد أعمى، وأخرس وأصم، ومنهم من يموت من ساعته إذا سقط إلى الأرض، ومنهم من يبقى إلى الاحتلام، ومنهم من يعمر حتى يصير شيخاً، فكيف ذلك، وما وجهه؟ فقال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أولى بما يدبره من أمر خلقه منهم، وهو الخالق والمالك لهم، فمن منعه التعمير، فإنما منعه ما ليس له، ومن عمره فإنما أعطاه ما ليس له، فهو المتفضل بما أعطى، وعادل فيما منع، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون^(١).

الفهرس

المقدمة:	ص ٥
تمهيد:	ص ٩
ملاحظات مهمة حول ذوي الشبهات أو من يطرحونها:	ص ١١
المصالح مطية الشبهات:	ص ١٣
فوضى وسائل التواصل الاجتماعي:	ص ١٥
نحو إضافة معرفية:	ص ١٧
مسؤوليتنا الفكرية:	ص ٢١
التفكير في الإضافات لا التراكمات:	ص ٢٤
إشكالات وردود:	ص ٢٩
حقيقة الجزية على المسيحيين: لماذا يأخذ الإسلام الجزية من المسيحيين؟	ص ٣١

لماذا العقوبات الإسلامية قاسية، كما في حد السرقة حيث تُقَطَّع يد

المسارق؟.....ص ٣٧

وأما الشروط الفقهية لحد السرقة:.....ص ٤١

أين كان الله قبل الخلق؟ ولماذا خلق الله الباطل؟ ولماذا يقول تعالى ::

(لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)؟.....ص ٤٥

أما السؤال : هل خلق الله الباطل؟.....ص ٤٦

لماذا لا يحكم المراجع برؤية الهلال بالتلسكوب؟.....ص ٤٨

لماذا خلقنا الله تعالى؟.....ص ٥١

ساعة تقولون (لا اكراه في الدين) وساعة تعاقبون الناس

وتكرهونهم على شيء لم يوافقوكم فيه؟.....ص ٥٣

لماذا قتل الخضر الغلام في لقائه موسى؟ في قوله تعالى: {فَانْطَلَقَا 138

حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّكَ

جُنْتُ شَيْئًا نُّكْرًا} [الكهف : ٧٤].....ص ٥٦

عقوبة المرتد (وهي الخروج عن الإسلام) القتل، ألا ينافي قتل

المختلف دينياً الحرية ولا إكراه في الدين؟!.....ص ٦٠

لماذا خلق الله الشر والزلازل والبراكين؟.....ص ٦٥

لماذا لا نكون كالغرب نستنسخ علمانيتهم؟.....ص ٦٩

لماذا لا يكون العلم والتكنولوجيا هما من يجيب عن حياتنا بدلاً عن

الدين؟!.....ص ٧٨

تحميل الأخطاء على رجل الدين::.....ص ٨٠

رجال الدين على ثلاثة مستويات علمية::.....ص ٨٣

لماذا لا نفصل الدين والغيبيات عن الدولة ونعيش بسلام كما

الغرب الحداثوي؟.....ص ٨٥

١٣٩ إن الدين يدعو الى قمع الآخر من خلال الادعاء بامتلاكه الحقيقة

مطلقاً وعدم تسامحه مع الآخر.....ص ٨٧

الدين على خطأ حينما أثار مسألة الجهاد،

والجزية.....ص ٨٩

- يقول البعض: لا حاجة لتقليد المراجع!!.....ص ٩٣
- يسأل أحد العلمانيين قائلاً أن: الإسلام كان في فيه رقيق وعبيد..
- وهذا يكفي في إدانة الإسلام.....ص ٩٦
- لماذا حرم الله الغناء؟ ولماذا نلتزم بأمور لا نعرف معناها؟.....ص ٩٩
- هل يمكن أن نصدق بأن الإمام زين العابدين « دفن الإمام الحسين
- « عبر طي الأرض؟.....ص ١٠٣
- يقولون لنقلد دول أوروبا فهي تطورت عندما عزلت الدين عن
- الدولة.....ص ١٠٧
- سؤال يدعي صاحبه إخراج من يواجهه:.....ص ١١٢
- دليل العلمانية.. كيف لدين (كالإسلام) جاء قبل ١٤٠٠ سنة ينفع
- اليوم؟!.....ص ١١٥
- عندما تسمح كلمة الإسلام السياسي من أحدهم فهو يصنف نفسه
- الى علماني يقرأ الدين بصيغة مغلوبة.....ص ١١٦

هل الله سبحانه قادر أن يخلق رب مثله؟!.....ص ١١٨

بعض العلمانيين يقولون: مأسينا كلها بسبب

الدين!.....ص ١١٩

إشكال ورد: قال تعالى {الطِّبَّاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ}

[النور : ٢٦].. لكننا أحياناً نجد أن الطيب ليس للطيبة بل قد

يبتلى بخبيثة؟!.....ص ١٢١

أرجو أن تبينوا لنا باختصار فلسفة تعدد الزوجات للرجل في

الإسلام.....ص ١٢٤

يسأل البعض ويقول: لماذا خلق الله الإنسان وهو يعلم أن مصير

بعضهم الى النار؟.....ص ١٢٨

لماذا خلق الله المعاق؟.....ص ١٣٢ 141

الفهرس:.....ص ١٣٧

